دفاع عن التشريع

مبني على الرد على الشبهات التي أثارها محمد الطائي

وكشف التزوير والتحريف والكذب المتعمد على التشيع وعلمائه

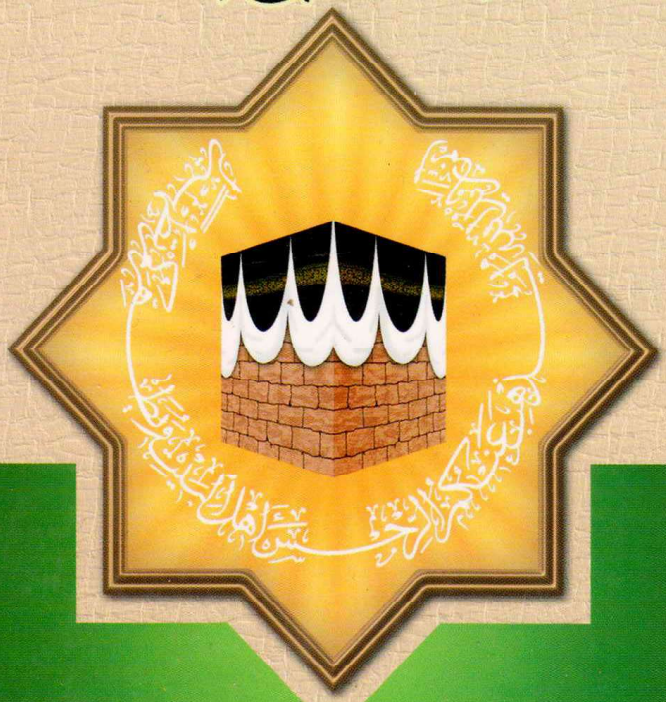

تأليف

السيد نذير الحسني

حسنی، نذیر یحیی، ۱۳۵۲
دفاع عن التشیع: تبنی الرد علی الشبهات التی اثارها احمد الکاتب و.../ نذیر یحیی الحسنی. ـ قم: نشر المؤسسه الاسلامیة العامة للتبلیغ والإرشاد
۵۰۳ ص.

فهرستنویسی بر اساس اطلاعات فیپا.
عربی.
کتابنامه: ص. ۴۱۹ ـ ۴۴۸؛ همچنین بصورت زیرنویس.
۱. کاتب، احمد، تطور الفکر السیاسی الشیعی من الشوری الی ولایه الفقیه ـ ـ نقد و تفسیر. ۲. کلام شیعه امامیه ـ ـ دفاعیه‌ها و ردیه‌ها. ۳. شیعه امامیه ـ ـ دفاعیه‌ها و ردیه‌ها. الف. کاتب، احمد. تطور الفکر السیاسی الشیعی من الشوری الی ولایه الفقیه. شرح. ب. عنوان. ج. عنوان: تطور الفکر السیاسی الشیعی من الشوری الی ولایه الفقیه. شرح.
۲۳. ۶ ت ۱۶ ک / ۵ / ۲۱۲ BP ۲۹۷/۴۱۷
کتابخانه ملّی ایران ۷۹-۵۵۹۲ م

ISBN: 964 - 5915 - 42 - 2
رقم الشابک: ۲ ـ ۴۲ ـ ۵۹۱۵ ـ ۹۶۴
ای.ای.ان: ۹۷۸۹۶۴۵۹۱۵۴۲۹

هویة الکتاب

● اسم الکتاب: ..... دفاع عن التشیع
● المؤلف: ..... السیّد نذیر الحسني
● الناشر: ..... المؤسسة الإسلامیة العامة للتبلیغ و الإرشاد
● عدد الصفحات ۵۰۳
● الطبعة: ..... الاولیٰ ـ ۱۴۲۱ هـ
● المطبعه: ..... نهضت ـ قم
● الکمیة: ..... ۱۰۰۰ نسخه
● سعر الکتاب ..... ۲۵۰۰۰ ریال

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ

﴿لَقَدْ ٱبْتَغَوُا الفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّىٰ جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ كَارِهُونَ﴾

التوبة: ٤٨

﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾

البقرة: ٤٢

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِى لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُواً أُولَـٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾

لقمان: ٦

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم: السيّد كمال الحيدري

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على محمّد وآله الطيبين الطاهرين.

غفل العديد ممن كتب في بحث الإمامة من علماء مدرسة أهل البيت عن عدد من الأُمور المنهجيّة التي أثّرت على سير بحوثهم ونتائجها. ومن أهمّها عدم الالتفات إلى أثر التراث الكلامي لأتباع الخلفاء في التراث الكلامي لأتباع أئمّة أهل البيت عليهم السلام. ممّا أدّى بهم إلى أن يؤخّروا مواضيع أساسيّة من حقّها أن تتقدّم، وتأخذ موقعها المناسب من البحث والتحقيق والتدقيق، وبرّزوا بدلاً عنها مواضيع ثانويّة لا تشكّل المحور الأساسي لمثل هذه الأبحاث.

وعلى هذا لابدّ من التعرّض إلى بيان هذه النكتة المنهجيّة، وإلى تحديد المنهج المختار في بحث الإمامة ومحاوره الأساسيّة ولو على نحو الاختصار.

تحرير محلّ النزاع:

انطلقت المدرسة السنيّة من نقطة مركزيّة في تكوين نظامها الفكري لفهم نظريّة الإمامة تمثّلت في أنّ الإمام أو الخليفة، يعني القائد والزعيم السياسي المسؤول عن إدارة شؤون الناس على مختلف الأصعدة والمستويات. ثمّ إنّهم عندما أرادوا أن يفهموا شرائط وموانع هذه الإمامة ـ التي هي الخلافة باصطلاح علم الكلام السنّي ـ حاولوا تأسيس ذلك من خلال الواقع الذي أوجده الخلفاء الثلاثة الأوائل،

فصارت بصدد إقامة الأدلّة من الطرق المختلفة العقليّة والنقليّة لإثبات صحّة ما انتهت إليه الخلافة بعد رسول الله ﷺ، فأرادت أن تعرف الحقّ من خلال معرفة الرجال.

«وحيث لم يتجاوز دور الإمام في النظام الفكري لهذه المدرسة تخوم القيادة والزعامة السياسيّة، فقد كان من المنطقي، بقطع النظر عن دلالات الوحي الإلهي، أن يولّوا وجوههم صوب نظريّة الشورى وانتخاب أهل الحلّ والعقد، وذلك:

أوّلاً: لأنّ هذه النظريّة أقرب إلى الذوق العرفي.

ثانياً: إنّ الحكومة شأن من شؤون الناس وعهد بينهم وبين الإمام القائد، وإذ يكون الأمر كذلك، فلابدّ أن يكون للأمّة دور في إدارة الشؤون والنهوض بها، لأنّ القرآن ينصّ ﴿وأمرهم شورى بينهم﴾[1]، ومن الواضح أنّ الإمامة بمعنى القيادة داخلة في أمر الناس، لهذا اتجهت المجتمعات البشريّة صوب نظريّة الانتخاب لا النص.

وكان مما ترتب على تلك النواة المحوريّة في تأسيس نظريّة الإمامة، أنّهم التزموا بانقطاعها وعدم دوامها، لأنّ المفروض، أنّ هذا المنصب لا يتحقّق لأحد إلّا بعد الانتخاب والبيعة. ومع عدم تحقّق ذلك لا يحق لأحد أن يتصدّى لهذه المسؤوليّة ويرغم الناس على القبول.

وعندما انتقلوا إلى الشروط التي لابدّ من توافرها، فيمن يتصدّى للنهوض بهذا الدور، لم يجدوا مناصاً من الالتزام، بأنّه لا يشترط أن يكون معصوماً، بل تكفيه من الناحية السلوكيّة العدالة بمعناها المتداول في البحث الفقهي، ومن ناحية التأهيل العلمي تكفيه قدرة علميّة ترفعه إلى مستوى أداء المسؤوليّات التي أُنيطت به. وهكذا انتهت عناصر النظام الفكري للمدرسة السنيّة في الإمام إلى المكوّنات التالية بشكل عام:

١ ـ لا تعني الإمامة غير الحكم والقيادة السياسيّة.

---

(١) الشورى: ٣٨.

٢ ـ تتم هذه العمليّة بالانتخاب والشورى.

٣ ـ إنّها منقطعة ليست دائمة.

٤ ـ لا يشترط فيها غير العدالة والعلم بمعناهما المألوف.

ذلك كان التسلسل الذي وجّه العمليّة الفكريّة لبناء نظريّة الإمامة في التصوّر السنّي.

النتائج الخطيرة:

عند الانتقال إلى الجانب الآخر من المشهد، نلمس أنّ المنهج الكلامي في المدرسة الشيعيّة، لم يبادر في الأغلب إلى تحرير محلّ النزاع وتحديد الخلاف بين المدرستين، بل دخل إلى تضاعيف البحث مباشرة، فأشهر نظريّة النص بإزاء نظريّة الشورى، وذهب إلى أنّ الإمامة متصلة ومستمرة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، في مقابل أُولئك الذين أنكروا ديمومتها، كما اشترط العصمة المطلقة على مستوى الاعتقاد والأخلاق والسلوك قبل البلوغ وبعده، والعلم الكامل التام من غير كسب.

لكن لمّا كانت انطلاقة الطرفين المتنازعين، تبدو وكأنّها تبدأ من نقطة شروع واحدة، فقد وجد بعضٌ أنّ هناك ضرباً من التهافت وعدم الانسجام بين المسؤوليّة الملقاة على عاتق الإمام، وهي الزعامة والقيادة السياسيّة، وبين الشروط والمواصفات التي ذُكرت له. فالشروط تبدو أضخم وأوسع بكثير من المهمّة التي ينهض بها الإمام.

ربما هذه النقطة والمفارقة التي استتبعتها، هي التي تفسّر لنا التداعيات التي راحت تتهاوى إليها بعض الكتابات المعاصرة حتّى داخل الصف الشيعي ذاته.

فمن هؤلاء من تجاوز تخوم الشكّ إلى حد رفض نظريّة النص في الإمامة، وما يستتبع ذلك من لوازم، ومنهم من احتمل أنّ العصمة تكفي بحد معيّن لا تتجاوزه، لعدم الحاجة إلى ما هو أزيد من ذلك. وفريق رفض العصمة بنحو كلّي، محتجّاً أنّها

لو كانت شرطاً أساسيّاً في القائد، فلماذا لم يلتزم أصحاب هذه النظريّة بهذا الشرط إلى آخر الشوط؟ بل تخلّو عنه واكتفوا بالقول بأنّه يكفي في الإمام ـ أي القائد ـ أن يكون عادلاً لا أكثر في زمن الغيبة.

كما أنّ منهم من ذهب إلى أنّ النزاع في مَنْ هو الأحق بالإمامة بعد رسول الله ﷺ نزاع تأريخي عقيم لا طائل من ورائه. ومنهم من راح يتساءل عن الفائدة المترتبة على وجود إمام غائب عن الأنظار ليس بمقدوره أن يواجه مشكلات العصر ويجيب عمّا يثيره من تحدّيات، ويتحمّل مسؤوليّته فعلاً، فإنّ وجود مثل هذا الإمام يعد لغواً لا فائدة منه، وهو محال على الحكيم سبحانه.

لقد نشأت هذه التساؤلات والاستفهامات على أرضيّة تلك الانطلاقة التي أسس لها نظام الفكر السنّي في فهم الإمامة، وتبعتها بعض الاتجاهات في الكلام الشيعي»[١].

الإمامة القرآنيّة:

إنّ الذي نستوحيه من القرآن الكريم، والسنّة النبويّة الشريفة، والروايات الصحيحة الواردة عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام الذين هم عدل القرآن العظيم كما هو نص حديث الثقلين المتواتر سنداً ومضموناً، أنّ الإمامة التي تعتقد بها مدرسة أهل البيت عليهم السلام تختلف اختلافاً جوهريّاً عن دور الإمامة التي تنحصر في الخلافة والحكم، وذلك لأنّ هذا الاتجاه يرى أنّ للإمامة دوراً فوق دور القيادة والزعامة، وهو الدور الذي بيّنه القرآن الكريم من خلال قوله تعالى: ﴿إنّي جاعلٌ في الأرض خليفة﴾[٢]، وأشار إليه بقوله لإبراهيم الخليل عليه السلام في قوله تعالى: ﴿إنّي جاعلك للناس إماماً﴾[٣]، وهي التي عبّر عنها الإمام الرضا عليه السلام: «هل يعرفون قدر الإمامة ومحلّها من

---

(١) بحث حول الإمامة، نص الحوار مع السيّد كمال الحيدري، حاوره جواد علي كسّار، المقدّمة ص ١٥.

(٢) البقرة: ٣٠.

(٣) البقرة: ١٢٤.

الأُمّة، فيجوز فيها اختيارهم، إنّ الإمامة أجلّ قدراً، وأعظم شأناً، وأعلى مكاناً، وأمنع جانباً، وأبعد غوراً، من أن يبلغها الناس بعقولهم، أو ينالوها بآرائهم، أو يقيموا إماماً باختيارهم. إنّ الإمامة خصّ الله عزّوجلّ بها إبراهيم الخليل عليه السلام بعد النبوّة والخلّة مرتبة ثالثة وأشاد بها ذكره، فقال: ﴿إنّي جاعلك للناس إماماً﴾»[١].

وهي التي قال عنها الإمام السجّاد عليه السلام: «نحن الذين بنا يمسك الله السماء أن تقع على الأرض إلّا بإذنه، وبنا يمسك الأرض أن تميد بأهلها، وبنا ينزّل الغيث، وبنا ينشر الرحمة ويخرج بركات الأرض، ولولا ما في الأرض منّا لساخت بأهلها»[٢].

لذا عندما يُسأل الإمام الباقر عليه السلام ويُقال له: لأيّ شيء يحتاج إلى النبي والإمام؟ فقال عليه السلام: «لبقاء العالم على صلاحه. وذلك أنّ الله عزّ وجلّ يرفع العذاب عن أهل الأرض إذا كان فيها نبي أو إمام، قال الله عزّ وجلّ: ﴿وما كان الله ليعذّبهم وأنت فيهم﴾[٣]».

من هنا عبّر الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله عن هذا الدور لأهل بيته عليهم السلام بقوله: «النجوم أمان لأهل السماء، وأهل بيتي أمان لأهل الأرض، فإذا ذهبت النجوم أتى أهل السماء ما يكرهون، وإذا ذهب أهل بيتي أتى أهل الأرض ما يكرهون»[٤].

ولعلّ تشبيه انتفاع الناس بالحجّة في زمان غيبته، عندما يُسأل الإمام الصادق عليه السلام: فكيف ينتفع الناس بالحجّة الغائب المستور؟ قال عليه السلام: «كما ينتفعون بالشمس إذا سترها السحاب»[٥] يشير إلى حقيقتين أساسيّتين:

الأُولى: أنّ الانتفاع به لا يختص بعالم التشريع والاعتبار، بل يتجاوز ذلك إلى عالم التكوين.

الثانية: أنّ هذا الأمر غير محسوس ومرئي للناس، بل يرتبط بعالم الغيب لا نشأة

---

(١) الأُصول من الكافي: ج ١، ص ١٩٩، كتاب الحجّة، باب نادر وجامع في فضل الإمام وصفاته.

(٢) بحار الأنوار: ج ٢٣، ص ٦، ح ١٠.

(٣) الأنفال: ٣٣.

(٤) بحار الأنوار: ج ٢٣، ص ١٩، ح ١٤.

(٥) بحار الأنوار: ج ٢٣، ص ٦، ح ١٠.

الشهادة.

وتأسيساً على ما تقدّم فنحن نعتقد أنّه لا يمكن الوقوف على فلسفة ما اشترطناه في الإمامة من العصمة والنص والديمومة والعلم الخاص، إلّا إذا أدركنا المهام والمسؤوليّات التي أُنيطت بدور الإمامة والخلافة في النظريّة القرآنيّة. وخصوصاً ما نصطلح عليه بـ (الدور الوجودي) للإمام عليه السلام، وهو غير (الدور التشريعي) و(القيادة السياسيّة) و(القدوة الصالحة). بل إن صحّ التعبير فإنّ هذه الأدوار إنّما هي ثمرات ذلك الأصل التي عبّر عنه القرآن الكريم بـ(الشجرة الطيّبة) التي ﴿أصلها ثابت وفرعها في السماء * تؤتي أُكلها كلّ حين بإذن ربّها ويضرب الله الأمثال للناس لعلّهم يتذكّرون﴾[1].

ومن الواضح أنّ هذه المقدّمة لا تتسع للدخول في بيان تفاصيل هذه النظريّة القرآنيّة، لكن نقول على نحو الإجمال والإشارة، أنّ هناك طريقين لفهم هذه الحقيقة القرآنيّة، يختلف أحدهما عن الآخر في الآثار والنتائج المترتبة عليهما:

الطريق الأوّل: أن نرجع إلى القرآن والسنّة المباركة لنرى ماذا يقولان عن حقيقة الإمامة وشرائطها، بقطع النظر عن المسؤوليّات والوظائف التي أُلقيت على عاتقها.

الطريق الثاني: وهو الأُسلوب الذي اتبعه كثير من علماء الكلام من الفريقين، وهو الذي سمّي في كلماتهم بالدليل العقلي لإثبات الإمامة وشرائطها. ومنطلقه أن تحدّد المسؤوليّات الأساسيّة التي أُلقيت على عاتق النبي أو الإمام، ثمّ يلتزمون بالشرائط التي لابدّ من توفّرها في الشخص المسؤول عن ذلك، من خلال معرفة حدود تلك الوظائف، ومدى المسؤوليّات التي ينهض بها الإمام[2].

ويمكن التعبير عن الطريق الأوّل بالمنهج اللمّي الذي يتحرّك من العلّة إلى المعلول لأننا نبحث فيه الإمامة في نفسها لنتعرّف على الإمامة القرآنيّة التي وردت

---

(١) إبراهيم: ٢٤ ـ ٢٥.

(٢) العصمة، محاضرات السيّد كمال الحيدري، بقلم محمّد القاضي، ص ١٨، الطبعة الخامسة.

في قوله تعالى: ﴿إنّي جاعلك للناس إماماً﴾[١] وقوله تعالى: ﴿وجعلنا منهم أئمّة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون﴾[٢]، وما هو المراد من الخلافة كمصطلح قرآني لا كلامي، كما ورد في قوله تعالى: ﴿إنّي جاعلٌ في الأرض خليفة﴾، ثمّ ننتقل إلى بيان شرائطها وموانعها، ثمّ نتوقّف عند المسؤوليّات والمهام التي أُوكلت إليها.

كما يمكن التعبير عن الطريق الثاني بالمنهج الإنّي الذي يتحرّك من المعلول إلى العلّة، لأنّنا ننتهي فيه من خلال المسؤوليّات الملقاة على عاتق الإمام إلى الشرائط الواجب توفّرها فيه، وسوف نحاول في هذه المقدّمة اختيار الطريق الأوّل في طرح بعض مسائل الإمامة الأساسيّة:

أوّلاً: هل إنّ ظاهرة الإمامة مستمرة أم منقطعة؟

ثانياً: هل إنّ الإمامة على فرض استمرارها تنحصر في عدد معيّن أم لا؟

ثالثاً: وإذا كانت منحصرة في عدد معيّن، فمن هم هؤلاء الأئمّة؟

رابعاً: وإذا تعيّن الإمام الأخير منهم، فهل هو حي الآن، أم سيولد بعد ذلك؟

ولا يخفى أنّ بعض عناصر هذه المسائل تدخل في بحوث الإمامة العامّة، وبعضها الآخر في بحوث الإمامة الخاصّة.

توضيح ذلك: إنّ المنهج الذي نقترحه لفهم الإمامة يقوم على أساس البحث في مستويين:

الأوّل: الإمامة العامّة.

الثاني: الإمامة الخاصّة.

«وربما كانت أفضل وسيلة لفهم المراد من هذه المستويات، مقاربة الإمامة بالنبوّة منهجيّاً، فمن المعروف أنّ المنهج الكلامي يدرس النبوّة على مرحلتين:

الأُولى: النبوّة العامّة: وهذه تدور حول أسئلة من قبيل، ما حاجة البشر إلى النبوّة وبعث الرسل؟ ولماذا لا يمكن للبشريّة أن تستغني بعقلها وتكتفي به في تحقيق

---

(١) البقرة: ١٢٤.

(٢) السجدة: ٢٤.

الغاية التي خُلقت من أجلها؟ وما هي شروط النبي العامّة؟ حيث انتهى البحث إلى ضرورة أن يكون أي نبي مبعوث من السماء، معصوماً مؤيّداً بمعجزة، مسدداً بالبيّنات، بحسب التعبير القرآني، إلى غير ذلك من البحوث المتداولة في علم الكلام.

الثانية: وتحوم بحوثها حول أسئلة خاصّة مثل: من هو النبي؟ ما هي طبيعة الأوضاع الزمانيّة والمكانيّة في عصر بعثته؟ ما هي المعجزة التي زوّد بها؟ لماذا هذه المعجزة بالذات دون سواها؟ هل يُعد من أُولي العزم أم لا؟ هل هو رسول ونبي أم نبي وحسب؟ إلى غير ذلك من الأسئلة التي تنصب حيال نبوّة نبي بعينه، كنبوّة محمّد خاتم الأنبياء ﷺ مثلاً.

وكذلك تتم معالجة الإمامة في المنهج المقترح من خلال خطوتين أو مرحلتين، الإمامة العامّة والإمامة الخاصّة.

فالمرحلة الأُولى تضطلع بالبحث عن المسؤوليّات التي أُنيطت بالإمامة بشكل عام، وتدرس المكوّنات الأساسيّة لنظريّة الإمامة بإطلاق أسئلة مثل: هل الإمامة منصوصة أم لا؟ هل يشترط في الإمام أن يكون معصوماً أم لا؟ هل ينبغي أن تكون الإمامة دائمة أم منقطعة؟ إلى غير ذلك من العناصر الأساسيّة التي تؤلّف الأُصول العامّة لبحث الإمامة. وهذه المرحلة ترتبط بالمفهوم العام للإمامة، ولا صلة لها بتحديد هويّة الأئمّة وعددهم، وما يدخل في مهام المرحلة الثانية.

أمّا المرحلة الثانية فتنهض ببحث أبعاد الإمامة الخاصّة ومسؤوليّاتها، وتدرس مَنْ هم الأئمّة؟ وما هو عددهم؟ وما هي صيغ إثبات إمامتهم؟ ما هي خصائص كلّ واحد منهم؟ وهل يتفاضلون فيما بينهم؟ لماذا اختص بعضهم بخصوصيّات لا توجد في غيره؟ إلى غير ذلك من البحوث التفصيليّة»[1].

---

(١) بحث حول الإمامة، المقدّمة ص ١١.

المحور الرابع
المهدي، هل هو حي، أم سيولد بعد ذلك؟

تعتبر مسألة الإمام المهدي (عج) من المسائل الأساسيّة في بحث الإمامة الخاصّة، من هنا ورد التأكيد عليها في التراث الشيعي، بما يناسب موقعها المهم هذا. كما إنّ فكرة مجيء المصلح في آخر الزمان، فكرة لا خلاف عليها بين علماء المسلمين عامّة، حيث اتفقت كلمتهم إلّا من شذّ منهم، على أنّه لابدّ أن يأتي في آخر الزمان من يصلح الأرض، ويملأها قسطاً وعدلاً، بعد أن مُلئت ظلماً وجوراً. وممن صرّح بأحاديث المهدي، الترمذي في السنن، والنيسابوري في المستدرك، والبغوي في مصابيح السنّة، وابن الأثير في النهاية، وابن تيميّة في منهاج السنّة، والذهبي في تلخيص المستدرك، والتفتازاني في شرح المقاصد، والهيثمي في مجمع الزوائد، والجزري الدمشقي في أسنى المطالب، والصبّان في إسعاف الراغبين، والشوكاني وعشرات غيرهم[١].

وصحح النيسابوري كثير من روايات المهدي، وعبّر عن طائفة منها بأنّها صحيحة على شرط الشيخين ولم يخرّجاه، كحديث أُم سلمة حول خسف البيداء الذي يكون في زمن المهدي[٢]، وحديث ابن مسعود «لا تذهب الدنيا حتّى يملك العرب رجل من أهل بيتي، يواطيء اسمه اسمي»[٣]، وحديث ثوبان حول الرايات التي

---

(١) سنن الترمذي: ج ٤، ص ٥٠٥؛ مستدرك الحاكم: ج ٤، ص ٥٥٣؛ مصابيح السنّة: ص ٤٨٨، ح ٤١٩٩؛ النهاية في غريب الحديث والأثر: ج ٥، ص ٢٥٤؛ منهاج السنّة: ج ٤، ص ٢١١؛ تلخيص المستدرك: ج ٤، ص ٥٥٣؛ شرح المقاصد: ج ٥، ص ٣١٢؛ مجمع الزوائد: ج ٧، ص ٣١٣ ـ ٣١٤؛ أسنى المناقب في تهذيب أسنى المناقب: ص ١٦٣ ـ ١٦٨؛ إسعاف الراغبين: ص ١٤٥؛ الإذاعة: ص ١٢٥.

(٢) مستدرك الحاكم: ج ٤، ص ٤٢٩.

(٣) مستدرك الحاكم: ج ٤، ص ٤٤٢.

توطّيء للمهدي سلطانه[١]، وحديث أبي سعيد: «المهدي منّي أجلى الجبهة»[٢]، وحديث أبي سعيد أيضاً: «لا تقوم الساعة حتّى تُملأ الأرض ظلماً وجوراً وعدواناً، ثمّ يخرج من أهل بيتي من يملأها قسطاً وعدلاً»[٣]، وحديث محمّد ابن الحنفيّة عن أبيه علي عليه السلام أنّه قال، وقد سأله رجل عن المهدي: «ذاك يخرج في آخر الزمان»[٤].

وعبّر عن طائفة ثانية منها، بأنّها صحيحة على شرط مسلم ولم يخرّجه، كحديث أبي سعيد الخدري: «المهدي منّا أهل البيت»[٥]، وحديثه الآخر أيضاً: «تملأ الأرض جوراً وظلماً فيخرج رجل من عترتي»[٦].

وعبّر عن طائفة ثالثة بأنّها صحيحة الإسناد ولم يخرّجاه، كحديث أبي سعيد: «ينزل بأُمّتي في آخر الزمان بلاء شديد، فيبعث الله عزّ وجلّ من عترتي، فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً، كما ملئت ظلماً وجوراً»[٧]، وحديث أبي سعيد أيضاً: «يخرج في آخر أُمّتي المهدي»[٨].

بل صرّح بعض الأعلام بتواتر هذه الأحاديث، كالأُبري في مناقب الشافعي، كما نقل ذلك المزّي في تهذيبه[٩]، والقرطبي في التذكرة[١٠]، والعسقلاني في تهذيب التهذيب[١١]، والسخاوي في فتح المغيث، والسيوطي في مصباح الزجاجة، والمتقي

---

(١) مستدرك الحاكم: ج ٤، ص ٤٦٤.

(٢) مستدرك الحاكم: ج ٤، ص ٤٥٧.

(٣) مستدرك الحاكم: ج ٤، ص ٥٥٧.

(٤) مستدرك الحاكم: ج ٤، ص ٥٥٤.

(٥) مستدرك الحاكم: ج ٤، ص ٥٥٧.

(٦) مستدرك الحاكم: ج ٤، ص ٥٥٨.

(٧) مستدرك الحاكم: ج ٤، ص ٤٦٥.

(٨) مستدرك الحاكم: ج ٤، ص ٥٥٨.

(٩) تهذيب الكمال: ج ٢٥، ص ١٤٦ / ٥١٨١، في ترجمة محمّد بن خالد الجندي.

(١٠) التذكرة: ص ٧٠١.

(١١) تهذيب التهذيب: ج ٩، ص ١٢٥/ ٢٠١ ترجمة محمّد بن خالد الجندي.

الهندي في البرهان في علامات مهدي آخر الزمان، والبرزنجي في الإشاعة لأشراط الساعة، وعشرات غير هؤلاء لا مجال لذكرهم في هذه العجالة[١].

فمثلاً، قال ابن حجر في تهذيب التهذيب، نقلاً عن الأُبري في ترجمة محمّد بن خالد الجندي: (وقد تواترت الأخبار، واستفاضت بكثرة رواتها، عن المصطفى ﷺ في المهدي، وأنّه من أهل بيته، وأنّه يملك سبع سنين، ويملأ الأرض عدلاً، وأنّ عيسى عليه السلام يخرج فيساعده على قتل الدجّال، وأنّه يؤمّ هذه الأُمّة، وعيسى خلفه)[٢].

وقال أيضاً: (وفي صلاة عيسى عليه السلام خلف رجل من هذه الأُمّة، مع كونه في آخر الزمان، وقرب قيام الساعة، دلالة للصحيح من الأقوال «أنّ الأرض لا تخلو من قائم لله بحجّة» والله العالم)[٣].

ولم يقتصر الأمر على المتقدّمين من علماء المسلمين، بل نجد ذلك واضحاً في كتابات المتأخّرين أيضاً، حيث صرّح أهل التحقيق منهم، بصحّة أحاديث المهدي، بل بتواترها، كالشيخ محمّد الخضر المصري، والشيخ محمّد فؤاد عبدالباقي، وأبو الأعلى المودودي، وناصر الدين الألباني، والشيخ حمود التويجري، والشيخ عبدالعزيز بن باز، وغيرهم[٤].

وقال الشيخ منصور علي ناصف في كتابه (التاج الجامع للأُصول): (اشتهر بين

---

(١) نظم المتناثر من الحديث المتواتر للكتاني: ص ١٤٤؛ العطر الوردي لشرح القطر الشهدي للبلبيسي: ص ٤٥.

(٢) تهذيب التهذيب: ج ٩، ص ١٢٥/ ٢٠١، ترجمة محمّد بن خالد الجندي.

(٣) فتح الباري: ج ٦، ص ٣٨٥.

(٤) نظرة في أحاديث المهدي: ص ٨٢٩ ـ مقال نشرته مجلّة التمدّن الإسلامي، دمشق ١٣٧٠ هـ ـ ١٩٥٠م؛ محاضرة نشرت في مجلّة الجامعة الإسلاميّة للشيخ محمّد فؤاد عبدالباقي، العدد الثالث، السنة الأُولى، ١٣٨٨ هـ السعوديّة؛ البيانات للمودودي: ص ١١٦؛ حول المهدي ـ مقال ـ ٦٤٤، نشرته مجلّة التمدّن الإسلامي ١٣٧١ هـ ـ دمشق؛ الاحتجاج بالأثر على من أنكر المهدي المنتظر: ص ٧٠ ـ ٧١؛ الاحتجاج بالأثر للتويجري: كلمة التصدير، بقلم ابن باز، ص ٣.

العلماء سلفاً وخلفاً، أنّه في آخر الزمان، لابدّ من ظهور رجل من أهل البيت، يسمّى المهدي، يستولي على الممالك الإسلاميّة، ويتبعه المسلمون، ويعدل بينهم، ويؤيّد الدين، وبعده يظهر الدجّال، وينزل عيسى عليه السلام فيقتله، أو يتعاون عيسى مع المهدي على قتله. وقد روى أحاديث المهدي، جماعة من خيار الصحابة، وخرّجها أكابر المحدّثين، كأبي داود والترمذي، وابن ماجة.... ولقد أخطأ من ضعّف أحاديث المهدي كلّها، كابن خلدون وغيره)[١].

وقال ابن باز: (فأمر المهدي معلوم، والأحاديث فيه مستفيضة، بل متواترة متعاضدة، وقد حكى غير واحد من أهل العلم تواترها... وهي متواترة تواتراً معنويّاً، لكثرة طرقها واختلاف مخارجها، وصحابتها، ورواتها، وألفاظها، فهي تدل على أنّ هذا الشخص الموعود به، أمره حقّ ثابت وخروجه حق)[٢].

وقال أيضاً: (ولقد تأمّلت ما ورد في هذا الباب من أحاديث، فاتضح لي صحّة كثير منها، كما بيّن ذلك العلماء الموثوق بعلمهم ودرايتهم، كأبي داود، والترمذي، والخطّابي، ومحمّد بن الحسين الآبري، وشيخ الإسلام ابن تيميّة، والعلّامة ابن القيّم، والشوكاني وغيرهم)[٣].

وقد ورد في معجم أحاديث الإمام المهدي ما يقرب من (٢٠٠٠ رواية) عن رسول الله وأهل بيته تعرّضت لمختلف شؤون المهدي، كالأبحاث المتعلّقة بمرحلة ما قبل ظهور المهدي (عج)، ثمّ ما يتعلّق بشخصيّته، وحركة ظهوره، وأحداثها، ثمّ ما يكون بعده[٤].

إذن، فمسألة ظهور المهدي في آخر الزمان، وأنّه من أهل بيته صلى الله عليه وآله وعترته، وأنّه

---

(١) التاج الجامع للأُصول: ج ٥، ص ٣٤١.

(٢) كلمة ابن باز في آخر محاضرة: عقيدة أهل السنّة والأثر، مجلّة الجامعة الإسلاميّة، المدينة المنوّرة ١٣٨٨.

(٣) الاحتجاج بالأثر للتويجري: كلمة التصدير لابن باز، ص ٣.

(٤) معجم أحاديث الإمام المهدي: ج ١، ص ١١، تأليف ونشر مؤسسة المعارف الإسلاميّة.

يملأ الأرض قسطاً وعدلاً، ممّا لا ريب فيها، ولا مجال للتشكيك والتردّد إزائها، وبتعبير الشيخ محمود التويجري: (أنّه لا ينكر خروجه إلّا جاهل أو مكابر)[١].

ولقد أجاد بعض الكتّاب المعاصرين حيث قال: (إنّ في عالم الدجل، الكثير من الذين يدّعون العلم ويتاجرون بالورع، يريدون أن يجعلون تراثنا خالياً من الهواء... لقد رفض فكرة المهدي رجال هناك، أمثال (غولد سابهر) و(فلهوزن) فاتبعهم رجال هنا، من منطلق أنّهم يأكلون كلّ طعام يأتي من هناك)[٢].

نعم، الذي وقع الخلاف فيه بين علماء المسلمين، إنّما هو في جهة أُخرى من البحث، هي: هل أنّ المهدي حي؟ ولكنّه غائب مستور، كما ذهب إلى ذلك أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام تبعاً للروايات الصحيحة الواردة عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وأئمّة أهل البيت عليهم السلام، أمّ أنّه سيولد بعد ذلك؟ كما هو الاتجاه العام عند مدرسة الخلفاء.

من هنا لابدّ أن ينصبّ الحديث على إثبات أنّ المهدي المنتظر حي أم لا؟ ويمكن ذكر طريقين في هذه العجالة لإثبات حياته:

الطريق الأوّل: وهو الطريق غير المباشر، إن صحّ التعبير، وذلك بأن يقال: بعد أن ثبتت ضرورة استمرار وجود معصوم، لا يفارق الكتاب ولا يفارقه الكتاب، كما هو نص حديث الثقلين، وأنّ هؤلاء المعصومين لا يتجاوز عددهم (١٢) كما هو مقتضى أحاديث (خلفائي من بعدي إثنا عشر)، وأنّ هؤلاء هم علي والحسن والحسين وتسعة من صلب الحسين عليهم السلام ينتهون بالمهدي المنتظر، كما هو نص عشرات الروايات من الفريقين، إذن يثبت بالدلالة الالتزاميّة العقليّة، أنّ الإمام الثاني عشر، حيٌّ يُرزق، لكنّه غائب مستور عن الخلق لحكمة إلهيّة في ذلك.

ومن الواضح أنّ هذا الطريق يثبّت لنا وجود إمام معصوم غائب، هو المهدي

---

(١) الاحتجاج بالأثر: ص ١٢٧.

(٢) عقيدة المسيح الدجّال في الأديان، قراءة في المستقبل، تأليف سعيد أيّوب، ص ٣٦١، دار البيان للطباعة والنشر.

المنتظر ابن الإمام الحسن العسكري عليه السلام الذي ينتهي نسبه إلى الإمام الحسين بن علي عليهما السلام.

ولكنّه لا يتعرّض لتفاصيل سنة ولادته، وكيفيّة ذلك، ومن هي أُمّه، ومتى غاب، وهل له غيبة واحدة أم أكثر. إلّا أنّ هذا لا يؤثّر في أصل فكرة إثبات وجوده، وأنّه حيٌّ غائب، لأنّ الضرورة النقليّة وما يلزمها عقلاً تثبّت هذه الحقيقة.

الطريق الثاني: وهو الطريق المباشر، ولكي يتضح ذلك جيّداً لابدّ من الإشارة إلى التسلسل الوارد في الروايات، لإثبات هذه الظاهرة الإلهيّة، وهذا ما أحصاه بعض المحقّقين المعاصرين:

١ ـ الروايات التي تبشّر بظهور (عج) ٦٥٧ رواية
٢ ـ الروايات التي تبيّن أنّه يملأ الأرض عدلاً وقسطاً ١٢٣ رواية
٣ ـ الروايات التي تثبّت أنّ المهدي المنتظر من أهل البيت ٣٨٩ رواية
٤ ـ الروايات التي تبيّن أنّه من ولد أمير المؤمنين عليه السلام ٢١٤ رواية
٥ ـ الروايات التي تثبّت أنّه من ولد فاطمة الزهراء عليها السلام ١٩٢ رواية
٦ ـ الروايات التي تقول أنّه من ولد الإمام الحسين عليه السلام ١٨٥ رواية
٧ ـ الروايات التي تقول أنّه التاسع من ولد الإمام الحسين عليه السلام ١٤٨ رواية
٨ ـ الروايات التي تقول أنّه من ولد علي بن الحسين عليهما السلام ١٨٥ رواية
٩ ـ الروايات التي تقول أنّه من ولد محمّد الباقر عليه السلام ١٠٣ رواية
١٠ ـ الروايات التي تقول أنّه من ولد الصادق عليه السلام ١٠٣ رواية
١١ ـ الروايات التي تقول أنّه السادس من ولد الصادق عليه السلام ٩٩ رواية
١٢ ـ الروايات التي تقول أنّه من ولد موسى بن جعفر عليهما السلام ١٠١ رواية
١٣ ـ الروايات التي تقول أنّه الخامس من ولد موسى بن جعفر عليهما السلام ٩٨ رواية
١٤ ـ الروايات التي تقول أنّه الرابع من ولد علي بن موسى الرضا عليه السلام ٩٥ رواية
١٥ ـ الروايات التي تقول أنّه الثالث من ولد محمّد بن علي التقي عليه السلام ٩٠ رواية
١٦ ـ الروايات التي تقول أنّه من ولد علي الهادي عليه السلام ٩٠ رواية

١٧ ـ الروايات التي تقول أنّه ابن أبي محمّد الحسن العسكري عليه السلام ١٤٦ رواية
١٨ ـ الروايات التي تقول أنّه الثاني عشر من الأئمّة وخاتمهم ١٣٦ رواية
١٩ ـ في ولادته عليه السلام وتأريخها وبعض حالات أُمّه ٢١٤ رواية
٢٠ ـ في أنّه له غيبتين ١٠ رواية
٢١ ـ في أنّه له غيبة طويلة ٩١ رواية
٢٢ ـ في أنّه طويل العمر جدّاً ٣١٨ رواية[1]

ولا شكّ أنّ روايات بعض هذه العناوين، قد تتداخل مع بعضها الآخر، كما هو واضح.

لا يقال: بأنّ الاستدلال بروايات أئمّة أهل البيت عليهم السلام لإثبات إمامة أنفسهم وبيان خصائصها، وعدد الأئمّة، وأنّ الثاني عشر حيّ، ونحو ذلك، إنّما يلزم منه الدور، لأنّ حجيّة أقوالهم موقوفة على إمامتهم وعصمتهم، والمفروض أنّ إمامتهم متوقّفة على حجيّة أقوالهم.

لأنّه يقال: إنّ هذا الإشكال مدفوع ببيانين:

الأوّل: إننا بعد أن أثبتنا عصمتهم بإحدى الطرق المتقدّمة في المحور الثالث، يمكن الاحتجاج والاستناد إلى أقوالهم لإثبات خصائص إمامة المهدي المنتظر (عج)، ولا يلزم محذور في المقام، لاختلاف الموقوف عن الموقوف عليه، فيرتفع الدور.

الثاني: إنّه حتّى لو لم تثبت عصمة أئمّة أهل البيت عليهم السلام في الرتبة السابقة، إلّا أنّه يمكن الاعتماد على رواياتهم، وذلك من خلال أنّهم رواة ثقاة عن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، فتكون حجيّة قولهم على حدّ حجيّة قول أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله الذين قبل المسلمون عامّة، الاعتماد على ما ينقلونه عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، ولا أظن أنّ أحد من المسلمين يتوقّف في قبول مثل هذا الأمر بشأن أهل البيت عليهم السلام سواء فيما صرّحوا فيه من الروايات، بأنّهم ينقلونه عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله، أو التي لم يصرّحوا فيها بذلك، بل اكتفوا بالقاعدة الكليّة التي بيّنوا فيها، أنّ حديثهم هو

---

(١) منتخب الأثر، للصافي الگلپايگاني.

حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، كما يقول الإمام الصادق عليه السلام: «حديثي حديث أبي، وحديث أبي حديث جدّي، وحديث جدّي حديث الحسين، وحديث الحسين حديث الحسن، وحديث الحسن حديث أمير المؤمنين، وحديث أمير المؤمنين حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم»[1].

وعلى هذا، لم نجد أحداً من المسلمين، شكك فيما نقل الإمام الباقر أو الإمام الصادق عليهما السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مع علمنا أنّ كثيراً من هؤلاء الذين سمعوا هذه الأحاديث من الأئمّة عليهم السلام وقبلوها، ورووها، لم يكونوا يعتقدون بعصمة الأئمّة عليهم السلام كاعتقاد الشيعة بهم، غير أنّهم، كانوا يعتقدون، بأنّ هؤلاء في أعلى درجات التقى والعلم والوثاقة والصدق.

ولا يخفى أنّ هناك طرق أُخرى لإثبات حياته (عج) كشهادة من رآه، وهم جمٌّ غفير، وفيهم الثقاة والعلماء، فقد أحصى البعض (عدد مَنْ شاهد الإمام المهدي، فبلغوا زهاء ٣٠٤ شخص)[2]. ولعلّ ما فاته أكثر ممّا ذكره.

من هنا جاءت اعترافات عدد كبير من علماء السنّة، تبيّن ولادة المهدي (عج)، وقد صرّح بعضهم، أنّه هو الإمام الموعود بظهوره في آخر الزمان. وقد أحصت بعض المؤلّفات المعاصرة وهو (المهدي في نهج البلاغة) للشيخ مهدي فقيه إيماني ما يزيد عن (١٠٠) شخصيّة، صرّحت بولادته (عج).

وكنموذج على ذلك، ما ذكره العلّامة الشعراني الحنفي في كتابه القيّم (اليواقيت والجواهر) حيث قال: (فهناك يترقّب خروج المهدي عليه السلام وهو من أولاد الإمام الحسن العسكري، ومولده عليه السلام ليلة النصف من شعبان سنة خمسة وخمسين ومائتين، وهو باقٍ إلى أن يجتمع بعيسى بن مريم عليه السلام ـ إلى أن يقول ـ وعبارة الشيخ محي الدين في الباب السادس والستين وثلثمائة من (الفتوحات): واعلموا أنّه لابدّ

---

(١) وسائل الشيعة: ج ٢٧، ص ٨٣، باب ٨؛ الكافي: ج ١، ص ٥٣.

(٢) من هو المهدي، أبو طالب التجليلي التبريزي، ص ٤٦٠ ـ ٥٠٥، نقلاً عن كتاب دفاع عن الكافي: ج ١، ص ٥٦٢.

من خروج المهدي عليه السلام، لكن لا يخرج حتّى تمتلئ الأرض جوراً وظلماً، فيملأها قسطاً وعدلاً، ولو لم يكن من الدنيا إلّا يوم واحد، طوّل الله تعالى ذلك اليوم، حتّى يلي ذلك الخليفة، وهو من عترة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من ولد فاطمة (رضي الله عنها) جدّه الحسين بن علي بن أبي طالب، ووالده الحسن العسكري، ابن الإمام علي النقي بالنون، ابن الإمام محمّد التقي بالتاء، ابن الإمام علي الرضا، ابن الإمام موسى الكاظم، ابن الإمام جعفر الصادق، ابن الإمام محمّد الباقر، ابن الإمام زين العابدين علي، ابن الإمام الحسين، ابن الإمام علي بن أبي طالب (رضي الله عنه)، اسمه اسم رسول الله صلى الله عليه وآله، يبايعه المسلمون بين الركن والمقام...)[1].

كانت هذه عبارة صاحب الفتوحات المكيّة، كما ينقلها أحد أعلام القرن العاشر الهجري، ولكن ممّا يؤسف له، فإنّ الأيادي غير الأمينة، عبثت بهذا النص، عندما طبعت الفتوحات، فجاء النص بنحو آخر: (اعلم أيّدنا الله، إنّ لله خليفة يخرج وقد امتلأت الأرض ظلماً وجوراً، فيملأها قسطاً وعدلاً، لو لم يبق من الدنيا إلّا يوم واحد، طوّل الله ذلك اليوم حتّى يلي هذا الخليفة من عترة رسول الله صلى الله عليه وآله، من ولد فاطمة، يواطيء اسمه اسم رسول الله صلى الله عليه وآله، جدّه الحسن بن علي بن أبي طالب، يبايع بين الركن والمقام...)[2].

وبهذا تخرج مسألة الإيمان بالمهدي المنتظر (عج)، وأنّه حيٌّ يُرزق، عن دائرة اتهام الشيعة، باختلاقها وإيجادها في الفكر الإسلامي.

وبإضافة هذا المحور إلى المحاور الثلاثة المتقدّمة، ونعني بها: استمرار الإمامة، وعدد الأئمّة، ومصاديقهم، يتم بحث الإمامة بشكل منطقي، وننتهي من خلاله إلى نتائج قطعيّة لا ينكرها أي عالم باحث عن الحق والحقيقة.

---

(١) اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر: ج ٢، ص ٥٦٢، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التأريخ العربي، بيروت ـ لبنان.

(٢) الفتوحات المكيّة: ج ٣، ص ٣٢٧، دار إحياء التراث العربي.

وفي الختام:

فإنّ الكتاب الماثل بين أيدينا، وهو كتاب (دفاع عن التشيّع) فقد طالعته، وسرّني ما وجدت فيه من الجهد العلمي والتحقيقي، الذي بذله أحد أعزّة تلامذتنا المتتبع، السيّد نذير الحسني، حيث تصدّى فيه للرد على بعض الأسئلة والاستفهامات، بل جملة من الاتهامات التي جاءت في كتاب (تطوّر الفكر السياسي الشيعي) لأحمد الكاتب.

وأوّد الإشارة هنا إلى أنّ البحث في مسائل الإمامة، يمكن أن يكون من خلال بعدين:

الأوّل: البعد الوجودي والتكويني.

الثاني: البعد السياسي والفقهي والتأريخي.

والمراجع لكتاب (تطوّر الفكر السياسي...) يجد أنّ المؤلّف تجاهل البعد الأوّل تماماً، وأغفل الحديث عنه بالكليّة، وإنّما حاول أن يقرأ الإمامة من خلال البعد الثاني، وهذا ما أوصله إلى جملة من النتائج الخاطئة، وهذه هي النكتة التي أومأنا إليها في بداية هذا البحث، وقلنا بأنّ المدرسة السنيّة، انطلقت من نقطة مركزيّة لفهم نظريّة الإمامة، تمثّلت في أنّ الإمام والخليفة، يعني القائد والزعيم السياسي. لذا بيّنا أننا ما لم نحدّد محلّ النزاع في الإمامة، ونقف على المسؤوليّات التي أُنيطت بها، فإنّ البحث لا يمكن أن ينتهي إلى نتائج صحيحة.

وعلى هذا الأساس جاءت محاولة هذا الكتاب لعرض الجوانب السياسيّة والتأريخيّة لبحث الإمامة، واستطاع مؤلّفه أن يعطي صورة واضحة وتفصيليّة عن هذا البعد، مضافاً إلى بيان مدى الاشتباه والتحريف الذي وقع فيه الكاتب.

وما توفيقي إلّا بالله، عليه توكّلت، وإليه أُنيب

كمال الحيدري

٢٤ صفر ١٤٢١ هـ

قم المقدّسة

المقدّمة:

بينما أنا أتجوّل في خزائن السلف الصالح، أُقلّب تلك الكنوز التي تركها مصنّفوها والتي تحكي واقعهم العلمي والعملي من خلال نقلهم الحقائق بأدلّة لا تقبل الشكّ والخلاف، وقع نظري على كتاب أسفل المكتبة بعنوان (تطوّر الفكر السياسي الشيعي من الشورى إلى ولاية الفقيه)، وكان مؤلّفه باسم (أحمد الكاتب) ونظراً لعدم شهرة هذا الاسم لم أتعرّف عليه بدقّة، ولكنّي أخذت أتصفّح الكتاب وأُقلّب فهارسه، فوجدت فيه عناوين لمواضيع مختلفة شدّتني إلى قراءته، وبدأت في القراءة وإذا بالمؤلّف يتحدّث عن شبهات كثيرة قرأتها في كتب المتقدّمين الشيعة سابقاً مع ردودها، ولكنّ الذي أثار انتباهي هنا أنّ المؤلّف ينسب في كثير من الأحيان هذه الشبهات إلى علماء الشيعة وليس إلى أصحاب المذاهب الأُخرى الذين أثاروها، فكان هناك فارق كبير بين ما أقرأه في كتب الشيعة الأوائل التي اعتمدها المؤلّف وبين ما نسبه إليهم، أضف إلى ذلك أنّه نسب إلى علي عليه السلام وأبنائه القول بالشورى خلافاً لما نُقِل إلينا من تراث صحيح علم به المخالف والموالف، وتحدّث أيضاً عن أُمور نعلم خلافها بالضرورة، ولعدم التسرّع في الحكم على الكتاب حتّى لا يُظلم صاحبه، عدت من جديد لقراءة الكتاب للمرّة الثانية على التوالي وبدون فاصل زمني بين القراءتين، فلم يسعفني محمل واحد من السبعين لحمل المؤلّف عليه، عندها بادرت إلى من له باع طويل في الحوزة وأبلغته بذلك،

فقال لي: (قرأت الكتاب ولكنّه لا يستحقّ الرد)، والسرّ في هذه الكلمة أنّ هـذه الشبهات أُثيرت قبل مئات السنين وردّها المفيد والصدوق والطوسي والمرتضى وغيرهم.

ولكن بعد فترة ليست طويلة أخذت هذه الشبهات تطلق وتنسب إلى المؤلّف، وتناقلت بعض الصحف ذلك، وطبّل لها الكثير ليؤجّجوا نار الفتنة بعدما أخـذت الحقيقة تنجلي شيئاً فشيئاً، ولكي تُنصَف الحقيقة ولا تتحقّق أهداف أُولئك، تركت ما تعوّدت عليه يوميّاً وتفرّغت لهذا الكتاب بالكامل ـ صباحاً ومساءً ـ وأخذت في أوّل عملي بتخريج جلّ الروايات والأقوال التي اعتمدها المؤلّف، معتمداً بذلك ما أشار إليه هو في هامشه، ولم يكن هذا العمل سهلاً، خصوصاً وأنّ المؤلّف لم يتبع المنهج العلمي في ذكر المصادر، ولم يذكر مشخّصات الكتاب المقتبس منه بالكامل، ومن المعلوم أنّ لأكثر الكتب طبعات مختلفة تختلف الأجـزاء وأرقـام الصفحات والمطالب بحسبها، هذا فضلاً عن اعتماد المؤلّف على أكثر من طبعة لمصدر واحد، فاستغرق العمل وقتاً طويلاً جدّاً، خرج بنتيجة تقول: (من يقرأ كتاب المؤلّف يقرأ تأريخاً منكوساً على رأسه، ومن يقرأ مصادره يقرأ تأريـخاً قـويماً ناصعاً لا شكّ فيه ولا خلاف)، أضف إلى ذلك مخالفات كثيرة وقع فيها المؤلّف عمداً تارة، وسهواً أُخرى ـ حملاً على قاعدة صحّة عمل المسـلم ـ، ومـن هـذه المخالفات:

١ ـ مخالفات منهجيّة في أجزائه الثلاثة، ففي جزئه الأوّل يقول في (صفحة١٩): (وبالرغم ممّا يذكره الإماميّون من نصوص حول تعيين النبي ﷺ للإمام علي بن أبي طالب كخليفة من بعده، إلّا أنّ تراثهم يحفل بنصوص أُخرى تؤكّد التزام الرسول الأعظم وأهل بيته بمبدأ الشورى)، بالرغم من هذا الاعتراف لم يقم المؤلّف بمقارنة نصوص التـعيين ونصوص الشورى، ولم يوازن بينهما حسب المنهج العلمي المتعارف عليه، فترك نصوص التعيين وتعلّق بنصوص الشورى المزعومة.

وفي جزئه الثاني بحث عن وجود ولد للعسكري بعد أن نفى إمامته في جزئه

الأوّل، ولا أعلم ما فائدة وجود ولد للعسكري أو عدم وجوده إذا لم يكن إماماً.

وفي جزئه الثالث ربط قضايا فقهيّة بمسألة الغيبة، وجعل الاختلاف فيها من الآثار السلبيّة لها، مع أنّ الاختلاف في هذه المسائل نابع من دليليّة الدليل وأُمور أُخرى ذكرناها في المتن، فضلاً عن اختلاف علماء أهل السنّة في كثير منها وهم لا يؤمنون بأنّ المهدي هو ابن الحسن العسكري.

٢ ـ بثلاث روايات عليلة ـ كما سنرى ـ نفى المؤلّف الإمامة وأقام الشورى دستوراً للمسلمين.

٣ ـ الكذب الصريح على علماء الشيعة، وبالخصوص الشيخ المفيد والنوبختي والصدوق والطوسي والنعماني والسيّد المرتضى وغيرهم.

٤ ـ عدم التروّي في نسبة الكتاب إلى مؤلّفه، فنسب «فرق الشيعة» إلى النوبختي، مع أنّ هذه النسبة عليها عدّة علامات استفهام.

٥ ـ الاعتماد على روايات الضعفاء وتضعيف الثقة وتوثيق الضعيف، كما فعل ذلك مع الريّان بن الصلت، وقال عنه: (ضعيف)، مع أنّ النجاشي يقول: (ثقة، صدوق).

٦ ـ قراءة منكوسة لتأريخ أئمّة أهل البيت، وتأويل بعض الروايات بالرأي، وتحميلها معنىً قسرياً تأباه.

٧ ـ الجهل التام بما ورد في التأريخ الإسلامي (الشيعي والسنّي) حول مسألة «الخلفاء اثنا عشر كلّهم من قريش»، فنسب عدم حصر الخلفاء باثني عشر إلى التراث السنّي، مع أنّ البخاري ومسلم وبقيّة علماء السنّة نقلوا هذا الحديث وبالحصر.

٨ ـ التشبّث بروايات تعلّق المؤلّف بأعناقها لاوياً إيّاها مطيّعاً معناها إلى مرامه.

٩ ـ الخلط الواضح في كثير من المسائل، وعدم التمييز بين المصطلحات وخصوصاً في مسألة الاجتهاد.

١٠ ـ النتيجة التي توصّل إليها (شورى الأُمّة على نفسها) لا تستدعي نفي

الإمامة الإلهيّة ـ كما فعل ـ لأنّ من يؤمن بالإمامة اليوم يؤمن بشورى الأُمّة على نفسها.

وغير ذلك من المخالفات العلميّة لأبسط قواعد البحث العلمي، والتي سيجدها القارئ في هذا الكتاب الذي قسّمنا فصوله إلى أحد عشر فصلاً.

تناول الفصل الأوّل المخالفات الصريحة والتحريف المتعمّد والتجاهل لكثير من الحقائق في التأريخ.

وتناول الثاني موارد الكذب المتعمّد الذي اعتمده المؤلّف على علماء الشيعة، أمثال المفيد والصدوق والمرتضى والطوسي والنوبختي والنعماني وغيرهم.

وتناول الثالث موارد الخلط التي وقع فيها المؤلّف وعدم التمييز في المواقع.

وتناول الرابع افتراءات وأكاذيب المؤلّف على مصاديق الإمامة الإلهيّة ابتداءً بعلي عليه السلام وانتهاءً بالمهدي المنتظر (عج).

وأمّا الخامس فقد كرّسناه لنظريّة الشورى والتحدّيات التي واجهتها.

وتحدّث السادس عن الافتراءات المتعمّدة التي افتراها المؤلّف على أركان نظريّة الإمامة الإلهيّة.

وتحدّثنا في السابع عن حديث «الخلفاء اثنا عشر» ومصاديقه، ودفعنا بعض الشبهات في ذلك.

وأمّا الثامن فتناول التسرّع الذي وقع فيه الكاتب في إصدار الأحكام من دون بحث ودراسة للظروف الموضوعيّة لكثير من المسائل التأريخيّة.

وتحدّث التاسع عن التقيّة في الفكر الإسلامي، وقسم من أقسام العلم بالغيب الذي أطلع الله رسوله وأولياءه عليه.

وذكرنا في العاشر الحركات والفرق التي حاول الكاتب التعلّق بأهدافها لخدمة نتائجه.

وفي الحادي عشر تحدّثنا عن التشيّع وعلمائه والظروف التي واجهوها.

وأخيراً، دراسة النتيجة النهائيّة التي توصل إليها المؤلّف والتي كانت غريبة

عن مقدّماتها تماماً.

وبهذه الجولة المضنية والطويلة نقدّم للقارئ دفاعاً عن التشيّع الذي حاول المؤلّف إثارة الغبار على كثير من مسائله العقائديّة.

وأخيراً لا أنسى شكري العام إلى الأُخوة العاملين في المكتبات المختصّة في فروع الحديث والرجال والتأريخ والتفسير والفقه والأُصول، المنتشرة في مدينة قم المقدّسة، وشكري الخاص إلى الأخ الشيخ أياد كمالي، الذي لم يدّخر جهداً في المساعدة.

ونسأل الله أن يهدي أُولئك الذين لم ينشدوا الحقيقة، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

نذير الحسني

محرّم الحرام ١٤٢١ هـ

قم المقدّسة

العلويين، ووضع لذلك عنواناً بارزاً ليصادر تلك الدماء بكلمات برّاقة.

المبحث الثاني عشر: الإمام المهدي المنتظر (عج)

ما معنى المهدي؟: هذا اللقب حمل بين طيّاته معنيين:

المعنى الأوّل: أنّه لقب لكلّ من يهدي إلى الله تعالى.

المعنى الثاني: ذلك الرجل الثائر الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً.

ومصاديق المعنى الأوّل تشمل الثاني، بخلاف العكس لأنّ الأوّل لقب لكلّ من يحمل مشعل الهداية إلى الله تعالى، ولقب المهدي بكلا قسميه تحدّث عنه الباقر عليه السلام عندما نسب لنفسه أنّه المهدي بالمعنى الأوّل، ونفى عنها أنّه المهدي الثائر الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً صاحب السيف.

يقول الحكم بن أبي نعيم: سألت الباقر عليه السلام، أنت المهدي؟

فأجابه الباقر عليه السلام: «**كلّنا يهدي إلى الله**».

ولم يكتفِ السائل بهذا الجواب العام، لأنّ المركوز في ذهنه أنّ المهدي هو صاحب السيف الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً، فأعاد السؤال على الباقر عليه السلام:

أنت الذي تقتل أعداء الله؟

هنا حدّد السائل مراده من المهدي، ولكنّ الإمام عليه السلام أجابه:

«**يا حكم، كيف أكون أنا وقد بلغت خمساً وأربعين سنة؟ وإنّ صاحب هذا الأمر أقرب عهداً باللبن منّي وأخف على ظهر الدابّة**»[1].

إذن، ميّز الباقر عليه السلام بين المهدي الهادي إلى الله، والمهدي الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً، فاشتبه الكاتب في التمييز هذا، ولم يستطع اكتشافه، وراح يشنّع على الأئمّة

---

(١) الكافي: ج ١، ص ٦٠١ ـ ٦٠٢، باب ١٢٨، ح ١.

وبالخصوص الإمام الباقر عليه السلام بأنّ هويّة المهدي غامضة لديهم[١].

وما أدري كيف تكون هويّة المهدي غامضة عند الباقر عليه السلام والشيخ الصدوق نقل باباً كاملاً احتوى على (١٧) حديثاً تحت عنوان «ما أخبر به أبو جعفر بن محمّد ابن علي الباقر عليهما السلام من وقوع الغيبة بالقائم عليه السلام وأنّه الثاني عشر من الأئمّة»، كلّ ذلك ذكره في كمال الدين[٢].

وكيف تكون غامضة لديه وهو يقول بحقّه: «انظروا من تخفى على الناس ولادته فهو صاحبكم»[٣].

وكيف تكون غامضة لديه وهو يرفض أن يكون هو المهدي الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما أجاب الحكم بن أبي نعيم بقوله:

كيف أكون أنا وقد بلغت خمساً وأربعين سنة[٤]؟

ولمّا يئس الكاتب من إيجاد ثغرة عند الباقر عليه السلام انتقل إلى ولده الصادق عليه السلام، ونسب له غموض هويّة المهدي لديه[٥]، ونقل حديثاً عن الإمام الصادق عليه السلام، عندما سأله أحد أصحابه مرّة، أنت صاحب هذا الأمر، فقال: «لا». قال: من هو؟ قال: «الذي يملأها عدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً على فترة من الأئمّة».

وأقصى ما يدلّ عليه هذا الحديث أنّ الإمام الصادق عليه السلام رفض نسبة المهدي بالمعنى الثاني لديه، ووصفه بأنّه ذلك الرجل الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً.

ولا يدلّ الحديث على غموض هويّة المهدي عند الصادق أبداً، فهو تحميل قسري لمعنى الحديث، لإثبات مدّعى سابق لا دليل عليه، سوى التأويلات القسريّة والتحميل المرفوض.

---

(١) أحمد الكاتب، تطوّر الفكر السياسي: ص ١٧٧ ـ ١٧٨.

(٢) كمال الدين: ص ٣٠٤ ـ ٣١١، باب ٣٢.

(٣) كمال الدين: ص ٣٠٤ ـ ٣٠٥، باب ٣٢، ح ٣.

(٤) الكافي: ج ١، ص ٦٠١ ـ ٦٠٢، باب ١٢٨، ح ١.

(٥) أحمد الكاتب، تطوّر الفكر السياسي: ص ١٧٩.

وكذلك فعل الرضا عليه السلام، فلقد أكّد لأيّوب بن نوح عندما قال له: انّي أرجو أن تكون صاحب هذا الأمر... رفض الرضا هذا المعنى[١].

والسرّ الذي أدّى إلى تبادر المعنى الثاني عند أصحاب الأئمّة من لقب المهدي هو الضغط السياسي الذي كانوا يتعرّضون له في كلّ فترة ابتداءً من وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وإلى يومنا هذا، ولهذا نسب بهذا المعنى إلى كثير من الأئمّة عليهم السلام كعلي بن أبي طالب[٢] مثلاً، وإلى غير الأئمّة كأبنائهم مثل محمّد بن الحنفيّة[٣]، وإلى عبدالله بن محمّد بن الحنفيّة[٤]، وإلى الطيّار عبدالله بن معاوية[٥] وغيرهم.

فهؤلاء وغيرهم أُلصقت بهم صفة المهدي بمعناه الثاني، لكن لم يشهد لنا التاريخ أي تصريح لهم بذلك، بل رفضوا ذلك المعنى وأكّدوا أنّهم هداة إلى الله تعالى فقط.

فلم يستطع الكاتب الاطلاع على التراث لكي يميّز بين هذين المعنيين جيّداً، فنسب غموض الهويّة للأئمّة عليهم السلام ولشيعتهم.

مهدويّة محمّد بن الحنفيّة: يقول الذهبي: (عن الأسود بن قيس، قال: لقيت رجلاً من عنزة، فقال: انتهيت إلى ابن الحنفيّة، فقلت: السلام عليك يا مهدي، قال: وعليك السلام، قلت: إنّ لي حاجة، فلمّا قام دخلت معه، فقلت: مازال بنا الشين في حبّكم حتّى ضربت عليه الأعناق، وشرّدنا في البلاد، وأُوذينا، ولقد كانت تبلغنا عنك أحاديث من وراء، فأحببت أن أُشافهك، فقال: إيّاكم وهذه الأحاديث، وعليكم بكتاب الله، فإنّه به هُدي أوّلكم، وبه يهدى آخركم، ولئن أُوذيتم لقد أُوذي من كان

---

(١) الكافي: ج ١، ص ٤٠٢ ـ ٤٠٣، باب ٨، ح ٣٢٥؛ كمال الدين: ص ٣٤٥، باب ٣٥، ح ١.

(٢) المقالات والفرق: ص ١٩ ـ ٢٠.

(٣) فرق الشيعة: ص ٤٤؛ المقالات والفرق: ص ٢٦.

(٤) فرق الشيعة: ص ٤٨.

(٥) فرق الشيعة: ص ٥٢؛ المقالات والفرق: ص ٤٤.

خيراً منكم، ولأمر آل محمّد أبين من طلوع الشمس)[١].

لقد طالعتنا هذه الرواية بمبادئ متعدّدة:

أحدها: أنّ محمّد بن الحنفيّة يقال له المهدي.

ثانيها: نهي الشيعة عن الأحاديث الواردة بحقّ محمّد بن الحنفيّة.

ثالثها: أنّ آل رسول الله ﷺ وقيادتهم وإمامتهم أبين من طلوع الشمس، كما يقول ابن الحنفيّة.

ويجب علينا في هذا المجال أن نعرف المعنى الأساسي لكلمة المهدي التي تطلق على محمّد بن الحنفيّة؛ لأنّ المهدي في الفكر الإسلامي: هو ذلك الرجل الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، حيث قال رسول الله ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتّى تمتلئ الأرض ظلماً وعدواناً، ثمّ يخرج رجل من عتري أو من أهل بيتي ـ الترديد من الراوي ـ يملؤها قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وعدواناً**»[٢].

والحديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه، كما قال ذلك الحاكم[٣].

إذن، الفكر الإسلامي يحمل معنى لكلمة المهدي، فهل هذا المعنى هو نفس المعنى المراد من إطلاق كلمة المهدي على محمّد بن الحنفيّة أم لا؟

وأفضل طريق لمعرفة ذلك هو ما صرّح به محمّد بن الحنفيّة نفسه، فقال: (أجل، أنا مهدي أهدي إلى الرشد والخير، واسمي محمّد، قولوا سلام عليك يا محمّد، أو يا أبا القاسم)[٤].

إذن، لم يكن المهدي بمعناه المرتكز لدى الفكر الإسلامي هو نفس المعنى الذي يطلق على محمّد بن الحنفيّة، ومن هذا نفهم معنى كلام محمّد بن الحنفيّة عندما قال:

---

(١) سير أعلام النبلاء: ج ١٤، ص ١٢٢.

(٢) مسند أحمد: ج ٣، ح ١٠٩٢٠؛ صحيح ابن حبان: ج ١٥، ص ٢٣٦، ح ٦٢٢٣؛ المستدرك على الصحيحين: ج ٤، ص ٦٠١، ح ٨٦٧٤.

(٣) ابراز الوهم المكنون: ص ٥١٥.

(٤) سير أعلام النبلاء: ج ٤، ص ١٢٣.

(أمر آلِ محمّد مستأخر)[١].

فمهدويّة محمّد بن الحنفيّة بمعنى أنّه راشد إلى الخير، وراشد إلى طريق الحق، أمّا المهدي المنتظر في الفكر الإسلامي فهو الذي يهدي إلى أمرٍ قد خفي[٢].

ولهذا بشّر ابن الحنفيّة بالمهدي، وقال ناقلاً الرواية عن أبيه علي عليه السلام، عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «المهدي منّا أهل البيت، يصلحه الله في ليلة»[٣].

فما نسبه الكاتب إلى محمّد بن الحنفيّة ومهدويّته كلام خالٍ من البحث والتحقيق.

هويّة المهدي عند رسول الله وأهل بيته عليهم السلام: لقب المهدي كان أملاً يحلّق فوق رأس كلّ من له طموح سياسي لقيادة الدولة، لما لهذا اللقب من مواصفات حصل عليها من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأهل بيته من بعده، فهو يحمل شرعيّة القيام والثورة، ويُقنع الناس لما هو مركوز في أذهانهم بالالتفاف حول حامله، وحتّى لا يستغلّ هذا اللقب في الإسلام من قبل الانتهازيين الذين يحرّفون المداليل اللفظيّة، حدّد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نسب هذا الشخص بتحديدات ضيّقت على المتصيّدين بالماء العكر فرصة استغلاله.

فلقد ذكر ابن ماجة والحاكم والسيوطي والطوسي وغيرهم أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حدّد نسب المهدي ومنبعه بأنّه من ولد عبدالمطلب حين قال صلى الله عليه وآله وسلم: «نحن ولد عبدالمطلب سادة أهل الجنّة أنا وحمزة وعلي وجعفر والحسن والحسين والمهدي»[٤].

وبما أنّ ولد عبدالمطّلب كثيرون، ومن أي ولد عبدالمطلب يكون المهدي، وما اسمه؟ كلّ ذلك أجاب عنه قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لا تنقضي الأيّام ولا يذهب الأمر حتّى يملك

---

(١) سير أعلام النبلاء: ج ٤، ص ١٢٥.

(٢) البرهان: ص ١٥٧، باب ٨، رقم ١٠.

(٣) حيلة الأولياء: ج ٣، ص ١٧٧.

(٤) سنن ابن ماجه: ج ٢، ص ١٣٦٨، رقم ٤٠٨٧، باب خروج المهدي؛ مستدرك الحاكم: ج ٣، ص ٢٣٣؛ الغيبة للطوسي: ص ١١٣.

العرب رجل من أهل بيتي اسمه يواطئ اسمي»[١].

وقد عدّ البغوي هذا الحديث من الأحاديث الحسان.

ولكن هل اكتفى رسول الله ﷺ بهذه التحديدات؟ يقول أبو داود، وابن ماجه، والطبراني، والحاكم، وابن حجر، والمتقي الهندي وغيرهم، أنّ رسول الله ﷺ لم يكتفِ بالتحديدات السابقة، فأضاف إلى المهدي تحديداً آخر أضيق دائرة من السابق، فنقلوا عن رسول الله ﷺ قوله: «المهدي حق وهو من ولد فاطمة»[٢].

والغريب أنّ هذا الحديث تعرّض لمحاولة اغتيال وحذف من صحيح مسلم، فبينما نشاهد ابن حجر والمتقي الهندي والشيخ محمّد بن علي الصبّان والشيخ حسن العدوي المالكي، خرّجوا هذا الحديث من صحيح مسلم، ولكنه لا وجود له في الصحيح في طبعاته الجديدة، كما جاء في كتاب المهدي المنتظر في الفكر الإسلامي.

المهم أنّ المهدي من ولد عبدالمطلب ومن النبي من فاطمة عليها السلام واسمه محمّد، إلى هنا يستطيع من ينتسب إلى فاطمة عليها السلام أن يستغل هذا اللقب، فضيّق رسول الله ﷺ الدائرة كما حدّثنا بذلك الدار قطني وابن الصبّاغ المالكي والسمعاني والقندوزي الحنفي والشيخ الصدوق وغيرهم، قول رسول الله ﷺ لفاطمة عليها السلام: «يا فاطمة إنّا أهل بيت أُعطينا ست خصال لم يعطها أحد من الأوّلين ولا يدركها أحد من الآخرين غيرنا أهل البيت.... ومنّا مهدي الأمّة الذي يصلّي عيسى خلفه، ثمّ ضرب على منكب الحسين عليه السلام فقال: من هذا مهدي الأمّة»[٣].

---

(١) مسند أحمد: ج ١، ٧١٠، رقم ٤٠٨٧؛ سنن أبي داود: ج ٤، ص ٢٣٣، رقم ٤٢٨٢؛ المعجم الكبير للطبراني: ج ١٠، ص ١١٣٤، رقم ١٠٢١٨؛ سنن الترمذي: ج ٤، ص ٥٠٥، رقم ٢٢٣٠؛ مصابيح السنّة للبغوي: ج ٣، ص ٤٩٢، رقم ٤٢١٠.

(٢) سنن أبي داود: ج ٤، ص ١٠٧، رقم ٤٢٨٤؛ سنن ابن ماجه: ج ٢، ص ١٣٦٨، رقم ٤٠٨٦؛ المعجم الكبير للطبراني: ج ٢٣، ص ٢٦٧، رقم ٥٦٦؛ الصواعق المحرقة: ج ٢، ص ٤٧٢، باب ١١؛ كنز العمّال: ج ١٤، ص ٢٦٤، رقم ٣٨٦٦٢؛ اسعاف الراغبين: ص ١٤٥؛ مشارق الأنوار: ص ٥٩.

(٣) أخرجه الدارقطني كما في البيان في أخبار صاحب الزمان للكنجي: ص ١١٦ـ١١٧، باب ٩؛ الفصول

وكذلك أخرج الصدوق عن سلمان قوله: دخلت على النبي ﷺ وإذا الحسين عليه السلام على فخذيه وهو يقبل عينيه ويلثم فاه وهو يقول: «أنت سيّد ابن سيّد، أنت إمام ابن إمام أبو الأئمّة، أنت حجّة ابن حجّة أبو حجج تسعة من صلبك، تاسعهم قائمهم»(١).

وبالإضافة إلى النسب الذي أوصله رسول الله ﷺ إلى الحسين عليه السلام أضاف إليه صفة أُخرى: بأنّ عيسى يصلّي خلفه، ولم يكتفِ بصفة واحدة، بل أضاف أُخرى كما صرّح بذلك الصدوق والجويني والقندوزي الحنفي، بأنّ للمهدي هذا غيبة حيث قال ﷺ: «المهدي من ولدي... تكون له غيبة»(٢).

إلى هنا قيّد رسول الله ﷺ هذا اللقب بتحديدات يصعب على الانتهازيين استغلالها، وسار أئمّة أهل البيت عليهم السلام على هذا المنهج، كلّ منهم يضيف إليه تحديداً يضيّق الدائرة لهذا اللقب، فقال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «هو ـ المهدي ـ رجل منّي»(٣).

ولا يشتبه البعض، بأنّ المهدي إذا كان من ولد رسول الله ﷺ فكيف يكون من ولد علي عليه السلام، فهو من رسول الله ﷺ لأنّه من ولد فاطمة، ومن علي لأنّه زوج البتول وقرّة عين الرسول ﷺ.

وكذلك الإمام الحسن عليه السلام حيث قال: «ذلك التاسع من ولد أخي»(٤).

وهكذا سار أئمّة أهل البيت ـ كما نقل ذلك النعماني وغيره ـ على إضافة التحديدات

المهمّة: ص ٢٩٥ـ٢٩٦، فصل ١٢؛ فضائل الصحابة للسمعاني على ما في ينابيع المودّة: ج ٣، ص ٨٣٩، رقم ٢٦، باب ٩٤.

(١) الخصال: ج ٢، ص ٤٨٦، رقم ١٢ باب التسعة؛ كمال الدين: ص ٢٥٠، باب ٢٤، ح ٩.

(٢) كمال الدين: ص ٢٧٢، باب ٢٥، ح ٥؛ فرائد السمطين: ج ٢، ص ٣٣٥، ح ٥٨٧؛ ينابيع المودّة: ج ٣، ص ٣٩٥ ـ ٣٩٦، باب ٩٤.

(٣) الفتن لابن حماد: ص ٢٦٦، باب نسبة المهدي؛ التشريف بالمنن لابن طاووس: ص ١٧٦، باب ١٩٠، ح ٢٣٨.

(٤) كمال الدين: ص ٢٩٧ ـ ٢٩٨، ح ٢، باب ٢٩.

لهذا اللقب، وهذا موسى بن جعفر عليه السلام يقول: إذا فقد الخامس من ولد السابع من الأئمّة فالله الله في أديانكم[١]. إلى أن وصل الأمر إلى أبيه الحسن العسكري، فأخبر بولادة ابنه، وأنّه المهدي المنتظر، والخليفة من بعده، ليغلق الباب تماماً ويطوي عليهم كلّ الفرص، يقول الكليني: أخبرنا علي بن محمّد (الثقة)[٢]، عن محمّد بن بلال (الثقة)[٣] يقول بأنّ العسكري أخبره بالخلف من بعده[٤].

وكذلك ورد الحديث الصحيح عن أبي هاشم الجعفري الذي يخبر فيه العسكري أبا هاشم هذا بولده وأنّه الخلف من بعده[٥].

وغيرها من الأحاديث التي نقلها الكليني في الكافي، والمفيد في الإرشاد، والطوسي والنعماني في غيبتيهما وغيرهم، والتي تؤكّد إخبار العسكري أصحابه بولده المنتظر.

وبعد كلّ هذا التضييق والتحديد لهذا اللقب بالاسم والنسب تارة، وبالوصف والإشارة أُخرى، أنكر الكاتب ابن الحسن العسكري عن طريق غموض هويّته عند أهل البيت[٦]، ولكنّ الصحيح أنّ الغموض ليس عند أهل البيت، بل عند الكاتب لأنّه لم يستطع ـ على أفضل التقادير ـ أن يميّز بين المهدي بأنّه هاد إلى الله، وبين المهدي الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً، وهذا ما اتضح سابقاً[٧].

الإمام الثاني عشر وأنّه المهدي المنتظر: بعد أن أفلس الكاتب من الحصول على

---

(١) الغيبة للطوسي: ص ١٠٤.

(٢) خلاصة الأقوال: ص ١٨٧، رقم ٥٥٩؛ معجم رجال الحديث: ج ١٢، ص ١٢٧، رقم ٨٤٨٤؛ تنقيح المقال: ج ٢، ص ٣٠٣، رقم ٨٣٥٤.

(٣) تنقيح المقال: ج ١، ص ١٤، رقم ١٠٤٥٥.

(٤) الكافي: ج ١، ص ٣٨٩، باب ٧٦، ح ١.

(٥) الكافي: ج ١، ص ٣٨٩، باب ٧٦، ح ٢.

(٦) أحمد الكاتب، تطوّر الفكر السياسي: ص ١٧٧.

(٧) في الصفحة ٢٢٩.

الوثائق الكافية لنقد ونفي نظريّة الإمامة الاثني عشريّة راح يبحث في الجزء الثاني عن الإمام المهدي (عج) ليدعم نظريّته التي أفلست من الوثائق في جزئه الأوّل وبمختلف الوسائل التي رأيناه يتبّعها هناك من التزوير والتحريف وقطع الأحاديث وتوثيق الضعفاء وتضعيف الثقات، ولم يستطع بكلّ ذلك أن يفتح ثغرة في نظريّة الإمام الإلهيّة، فلجأ إلى طريق جديد لعلّه يجد فيه ضالّته، وأوّل ما افتراه على المهدي (عج) هو أنّ نظريّة المهدويّة مركّبة من الإيمان بوجود الإمام الثاني عشر، وأنّه المهدي المنتظر، وراح يفصل بين جزئي النظريّة التي لم يثبت فصلها في التاريخ، كما سنوضّح ذلك، فقال:

(كانت النظريّة المهدويّة الاثنا عشريّة نظريّة مركبة من الإيمان بوجود الإمام الثاني عشر وأنّه المهدي المنتظر.....، ولكنّ الدراسة التاريخيّة المعمقة لقصّة نشوء هذه النظريّة تكشف عن وجود فاصل زمني طويل بين جزئي النظريّة)[1].

وبعد فشله في إقناع القارئبعدم وجود إمامة إلهيّة، راح يفكّك بين الإيمان بالإمام الثاني عشر وبين كونه المهدي المنتظر الغائب، والمستقرئ لتاريخ الاسلام وما حمله الرواة والمحدّثون يجد أنّ الإيمان بمسألة الإمام الثاني عشر وكونه المنتظر الغائب من زمن رسول الله ﷺ.

يقول الشيخ الصدوق: إنّ رسول الله ﷺ قال بعدما نصّب علي وولده الحسن والحسين أئمّة من بعده قال: «**وتسعة من ولد الحسين تاسعهم قائم أُمّتي، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً، كما ملئت جوراً وظلماً**»[2].

فلم يفصل الرسول ﷺ بين الإمام الثاني عشر، وبين كونه الغائب المنتظر الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً.

ويقول النعماني في الغيبة: إنّ رسول الله ﷺ قال مخاطباً علي:

«يا علي الأئمّة الراشدون المهتدون المعصومون من ولدك، أحد عشر إماماً أنت أوّلهم

---

(١) أحمد الكاتب، تطوّر الفكر السياسي: ص ١٧٧.

(٢) كمال الدين: ص ٢٤٥، باب ٢٤، ح ١.

وآخرهم اسمه اسمي يخرج فيملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً وظلماً يأتيه الرجل والمال كدس»[١].

وقد نقل المفيد والكليني والصدوق والنعماني والمسعودي روايات كثيرة عن رسول الله ﷺ لم يكن فيها ذلك الفصل المزعوم، وشاركت المصادر السنيّة المصادر الشيعيّة بنقل عدم الفصل هذا، فذكر القندوزي الحنفي عن رسول الله ﷺ، قال:

«أنا سيّد النبيّين، وعلي سيّد الوصيين، وإنّ أوصيائي بعدي اثنا عشر، أوّلهم علي، وآخرهم المهدي»[٢].

وقال الجويني: عن عبدالله بن عبّاس، قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ خلفائي وأوصيائي وحجج الله على الخلق بعدي الاثنا عشر، أوّلهم أخي وآخرهم ولدي»، قيل: يا رسول الله، ومن أخوك، قال: «علي بن أبي طالب»، قيل: فمن ولدك، قال: «المهدي الذي يملأها قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً»[٣].

وغير ذلك من الأحاديث الشريفة التي لم تفصل ـ كما فصل الكاتب ـ بين الإيمان بالإمام الثاني عشر، وبين كونه المهدي المنتظر، ولو فرضنا أنّ هذه الأحاديث يشكّك فيها الكاتب، فلماذا لم يذكر بحقّها شيئاً، لا من ناحية السند ولا من ناحية المتن، فقد أهملها تماماً مشوّشاً ذهن المطالع بعدم وجودها، وأكثر الظن أنّه أهملها لعدم إمكانه إنكار متنها ولا سندها، فأفضل طريق لذلك الإهمال، ولم يقف عدم الفصل على رسول الله ﷺ، بل سار أئمّة أهل البيت عليهم السلام على عدم الفصل هذا، يقول الصدوق: عن أمير المؤمنين عليه السلام قوله: «التاسع من ولدك يا حسين هو القائم بالحقّ المظهر للدين الباسط للعدل»[٤].

وكذلك بنت الرسول وقرّة عينه فاطمة البتول عليها السلام، حيث نقل جابر حديث اللوح

---

(١) الغيبة للنعماني: ص ٩٢ ـ ٩٣، ح ٢٣.

(٢) ينابيع المودّة: ج ٣، ص ٢٩٥ ـ ٢٩٦، باب ٧٨، ح ٣.

(٣) فرائد السمطين: ج ٢، ص ٣١٢، ح ٥٦٢.

(٤) كمال الدين: ص ٢٨٧، باب ٢٦، ح ١٦.

الذي بيدها، حيث يقول جابر: دخلت على فاطمة وبين يديها أسماء الأوصياء من ولدها فعددت اثني عشر اسماً آخرهم القائم[١]. وأخرج الكليني هذا الحديث بسند صحيح[٢].

وكذلك الحسن عليه السلام أخبر بعدم الفصل هذا الذي نسجه الكاتب، فقال متحدثاً عن الغائب وأنّه الثاني عشر: «ذلك التاسع من ولد أخي الحسين ابن سيّدة الإماء، يطيل الله عمره في غيبته»[٣].

وقال الحسين عليه السلام في ذلك: «دخلت على جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأجلسني على فخذه، وقال لي: إنّ الله اختار من صلبك يا حسين تسعة أئمّة، تاسعهم قائمهم، وكلّهم في الفضل والمنزلة عند الله سواء»[٤].

ويقول أيضاً: «منّا اثنا عشر مهديّاً، أوّلهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وآخرهم التاسع من ولدي، وهو الإمام القائم بالحق.... له غيبة يرتد فيها أقوام»[٥].

وسار علي بن الحسين السجّاد على عدم الفصل الذي ابتدعه الكاتب، فقال: «إنّ الله تبارك وتعالى خلق محمّد وعلي والأئمّة الأحد عشر من نور عظمته...» ثمّ في حديث آخر ذكر بقوله: «الغيبة بولي الله عزّ وجلّ الثاني عشر من أوصياء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والأئمّة من بعده»[٦].

وكذلك الإمام الباقر عليه السلام، حيث قال: «يكون تسعة أئمّة بعد الحسين بن علي، تاسعهم قائمهم»[٧].

---

(١) الغيبة للطوسي: ص ٩٢؛ كمال الدين: ص ٢٩٤، باب ٢٨، ح ٤؛ الكافي: ج ١، ص ٥٩٨، باب ١٢٦، ح ٩.

(٢) المهدي المنتظر في الفكر الإسلامي: ص ٨٧.

(٣) كمال الدين: ص ٢٩٧، باب ٢٩، ح ٢.

(٤) ينابيع المودّة: ج ٣، ص ٣٩٥، باب ٩٤، ح ٤٥.

(٥) كمال الدين: ص ٢٩٨، باب ٣٠، ح ٣.

(٦) كمال الدين: ص ٢٩٩ ـ ٣٠٠، باب ٣١، ح ١.

(٧) الكافي: ج ١، ص ٥٩٩، باب ١٢٦، ح ١٥.

وقال أيضاً: «منّا اثنا عشر محدّثاً، السابع من بعدي ولدي القائم»[١].

أمّا الصادق عليه السلام فقد رُوي عنه عدم الفصل هذا، كما حدّث الطوسي بذلك[٢].

وقال الإمام الكاظم عليه السلام: «إذا فقد الخامس من ولد السابع فالله الله في أديانكم لا يزيلنّكم عنها، فإنّه لابدّ لصاحب هذا الأمر من غيبة»[٣].

وبهذا قد أجمع أئمّة أهل البيت عليهم السلام على عدم الفصل بين الإمام الثاني عشر وبين كونه المهدي المنتظر، وقام الشيخ الصدوق بجمع الأحاديث التي لم تفصل بين الثاني عشر وبين كونه الغائب في فصل خاص بيّن فيه أنّ الأئمّة اثنا عشر وأنّ الثاني عشر هو القائم، فقد روى عن النبي صلى الله عليه وآله سبعة وثلاثين حديثاً مؤكّداً هذه الحقيقة ومن طرق مختلفة، وعن أمير المؤمنين عليه السلام تسعة عشر حديثاً، وعن الزهراء عليها السلام حديث اللوح، وعن الحسن عليه السلام حديثين، وعن الحسين عليه السلام خمسة أحاديث، وعن زين العابدين عليه السلام تسعة أحاديث، وعن الباقر عليه السلام سبعة عشر حديثاً، وعن الصادق عليه السلام سبعة وخمسين حديثاً، وعن الكاظم عليه السلام ستة أحاديث، وعن الرضا عليه السلام سبعة أحاديث، وعن الجواد عليه السلام ثلاثة أحاديث، وعن الهادي عليه السلام عشرة أحاديث، وعن العسكري عليه السلام خمسة أحاديث، فبلغ عدد الأحاديث عند الصدوق وحده (١٧٧ حديثاً) تؤكّد عدم الفصل، ابتداءً من رسول الله صلى الله عليه وآله إلى العسكري، كلّ ذلك أهمله الكاتب ولم يشر إليه بكلمة واحدة، أضف إلى ذلك أنّه فصل بين الإمام الثاني عشر وأنّه المهدي المنتظر بعبارات إعلاميّة لم يذكر لها مصدراً واحداً، ولا أدري بِمَ يوصف بحث مثل هذا الذي قام به الكاتب؟

اعترافات علماء السنّة بأنّ المهدي هو محمّد بن الحسن العسكري: ولكي نكمل حقول الهويّة الشخصيّة للإمام محمّد بن الحسن العسكري، وبعد اعترافات

---

(١) غيبة النعماني: ص ٩٦، ح ٢٨.

(٢) الغيبة للطوسي: ص ٩٣.

(٣) غيبة النعماني: ص ١٥٤، ح ١١.

علماء الأنساب بذلك، نأتي إلى علماء السنّة الذين صرّحوا بأنّ محمّداً هو ابن الحسن العسكري.

يقول محمّد بن طلحة الشافعي (المتوفى سنة ٦٥٢ هـ):

(محمّد بن الحسن الخالص بن علي المتوكّل بن القانع بن علي الرضا ابن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمّد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين الزكي بن علي المرتضى أمير المؤمنين بن أبي طالب، المهدي الحجّة الخلف الصالح المنتظر عليهم السلام)[١].

ويقول محمّد بن يوسف الكنجي الشافعي (المتوفى سنة ٦٥٨ هـ):

(وخلّف علي الهادي من الولد أبا محمّد الحسن ابنه)، ثمّ ذكر تاريخ ولادته ووفاته، وقال: (ابنه هو الحجّة الإمام المنتظر، وكان قد أخفى مولده وستر أمره لصعوبة الوقت وخوف السلطان)[٢].

ويقول علي بن محمّد الصبّاغ المالكي: (الحجّة الخلف الصالح ابن أبي محمّد الحسن الخالص...)، إلخ[٣].

ويقول سبط ابن الجوزي (المتوفى سنة ٦٥٤ هـ):

(هو محمّد بن الحسن بن علي بن محمّد بن علي بن موسى الرضا بن جعفر بن محمّد ابن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام، وكنيته أبو عبدالله، وأبو القاسم، وهو الخلف الحجّة، صاحب الزمان، القائم، والمنتظر، والتالي، وهو آخر الأئمّة)[٤].

ويقول ابن خلكان (المتوفى سنة ٦٨١ هـ):

(أبو القاسم محمّد بن الحسن العسكري بن علي الهادي بن محمّد الجواد المذكور....

---

(١) مطالب السؤول: ج ٢، ص ٧٩ الباب الثاني عشر.

(٢) كفاية الطالب.

(٣) الفصول المهمة: الفصل الثاني عشر، ص ٢٩١.

(٤) تذكرة الخواص: ص ٣٢٥.

كانت ولادته يوم الجمعة منتصف شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين)[١].

ويقول الذهبي (المتوفى سنة ٧٤٨ هـ):

(وفيها أي في سنة ٢٥٦ هـ ولد محمّد بن الحسن بن علي الهادي بن محمّد الجواد.... الذي تلقّبه الرافضة الخلف الحجّة، وتلقّبه بالمهدي والمنتظر، وتلقّبه بصاحب الزمان، وهو خاتمة الاثني عشر)[٢].

ويقول يوسف بن قنبر علي بن عبدالله البغدادي الحنفي: (أولاد العسكر منهم:

(م ح م د) بن الحسن بن علي بن محمّد بن علي بن موسى بن الرضا بن جعفر بن محمّد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، وكنيته أبو عبدالله، وأبو القاسم، وهو الخلف الحجّة صاحب الزمان القائم المنتظر والتالي، وهو آخر الأئمّة)[٣].

أمّا محي الدين ابن العربي (المتوفى سنة ٦٣٨ هـ)، فيقول الشعراني:

(وعبارة الشيخ محيي الدين في الباب السادس والستين وثلاثمائة من الفتوحات: واعلموا أنّه لابدّ من خروج المهدي عليه السلام، ولكن لا يخرج حتّى تمتلئ الأرض جوراً وظلماً، فيملأها قسطاً وعدلاً، ولو لم يكن من الدنيا إلّا يوم واحد طوّل الله تعالى ذلك اليوم حتّى يلي ذلك الخليفة، وهو من عترة رسول الله صلى الله عليه وآله من ولد فاطمة عليها السلام، وجدّه الحسين بن علي بن أبي طالب، ووالده الحسن العسكري ابن الإمام علي النقي)[٤].

هذا ما نقله الشعراني من الفتوحات لابن العربي، ولكن يد التحريف طالت هذا الكلام، وحذفته من الفتوحات لابن العربي[٥].

ويقول عبدالله بن علي الشافعي اليافعي (المتوفى سنة ٧٦٨ هـ):

---

(١) وفيات الأعيان: ج ٤، ص ١٧٦، رقم ٥٦٢.

(٢) العبر في خبر من غبر: ج ١، ص ٣٨١؛ دول الإسلام: ص ١٤٥.

(٣) الزام الناصب: ج ١، ص ٣٢٣.

(٤) اليواقيت والجواهر: ج ٢، ص ٥٦٢، المبحث الخامس والستون.

(٥) دفاع عن الكافي: ج ١، ص ٥٧٣.

(وفيها ـ حوادث سنة ٢٦٠ ـ توفي الشريف العسكري أبو محمّد الحسن بن علي ابن محمّد بن علي بن موسى الرضا بن جعفر الصادق، أحد الأئمّة الاثني عشريّة على اعتقاد الإماميّة، وهو والد المنتظر عندهم، صاحب السرداب، ويعرف بـالعسكري، وأبوه أيضاً يعرف بهذه النسبة)[١].

ويقول أحمد بن حجر (المتوفى سنة ٩٧٤ هـ):

(ولم يخلف ـ العسكري ـ غير ولده أبي القاسم محمّد الحجّة، وعمره عند وفاة أبيه خمس سنين، لكن أتاه الله فيها الحكمة، ويسمّى القائم المنتظر...)، إلخ[٢].

وقال أحمد بن يوسف أبو العبّاس القرماني الحنفي (المتوفى سنة ١٠١٩ هـ):

(وكان عمره ـ الحجّة ـ عند وفاة أبيه خمس سنين، أتاه الله فيها الحكمة، كما أوتيها يحيى عليه السلام صبيّاً)[٣].

وقال سليمان بن إبراهيم المعروف بالقندوزي الحنفي (المتوفى سنة ١٢٧٠):

(فالخبر المعلوم المحقّق عند الثقات، أنّ ولادة القائم عليه السلام كانت ليلة الخامس عشر من شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين في بلدة سامرّاء)[٤].

وقال الشبلنجي (المتوفى سنة ١٣٠٨):

(وهو آخر الأئمّة الاثني عشر على ما ذهب إليه الإماميّة.... إلى أن قال: ولد محمّد ابن الحسن الخالص سنة خمس وخمسين ومئتين)[٥].

ويقول الزركلي الوهابي (المتوفى سنة ١٣٩٦ هـ): (محمّد بن الحسن العسكري الخالص بن علي الهادي، أبو القاسم، آخر الأئمّة الاثني عشر عند الإماميّة، ولد في سامرّاء ومات أبوه وله من العمر نحو خمس سنين، وقيل في تاريخ مولده ليلة النصف

---

(١) مرآة الجنان: ج ٢، ص ١٢٧، حوادث سنة ٢٦٠.

(٢) الصواعق المحرقة: ج ٢، ص ٦٠١، الباب الحادي عشر.

(٣) أخبار الدول وآثار الأول: ج ١، فصل ١١، ص ٣٥٣ ـ ٣٥٤.

(٤) ينابيع المودّة: ج ٣، ص ٣٠٦، آخر باب ٧٩.

(٥) نور الأبصار: ص ٢٥٧.

من شعبان سنة ٢٥٥هـ وفي تاريخ غيبته سنة ٢٦٥هـ)[١].

ويقول عبدالوهاب بن أحمد بن علي الشعراني:

(يترقّب خروج المهدي (عج)، وهو من أولاد الحسن العسكري، ومولده ليلة النصف من شعبان سنة ٢٥٥)[٢].

واعترف بهذه الحقيقة العلّامة الشيخ أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي النيسابوري الشافعي (ت ٤٥٨ هـ) في كتابه «شعب الإيمان»، والعلّامة عبدالله بن أحمد بن محمّد بن الخشّاب (ت ٥٦٧ هـ) في كتابه «تاريخ مواليد الأئمّة ووفياتهم»، والشيخ محمّد بن طلحة الحلبي الشافعي (ت ٦٥٢ هـ) في كتابه «مطالب السؤول»، والمؤرّخ الشهير شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت الحموي (ت ٦٢٦ هـ) في كتابه «معجم البلدان»، والشيخ فريد الدين العطّار (ت ٦٢٧ هـ) في كتابه «مظهر الصفات»، والشيخ محي الدين أبو عبدالله محمّد بن علي بن محمّد المعروف بابن الحاتمي الطائي الأندلسي (ت ٦٣٨ هـ) في كتابه «الفتوحات»، والشيخ جلال الدين محمّد البلخي الرومي المعروف بالمولوي (ت ٦٧٢ هـ) في ديوانه الكبير، والشيخ صلاح الدين الصفدي (ت ٧٦٤ هـ) في كتابه شرح الدائرة، وغير هؤلاء، وأحصاهم الشيخ نجم الدين جعفر بن محمّد العسكري في كتابه «المهدي الموعود المنتظر» عند علماء أهل السنّة والإماميّة، وأوصلهم إلى (٤٠ عالماً) من أصحاب الكتب، وأضاف الشيخ لطف الله الصافي (٢٦ عالماً) آخر من أصحاب الكتب، فبلغ عددهم (٦٦ عالماً) من علماء السنّة اعترفوا بولادة الإمام المهدي ابن الحسن العسكري عليه السلام. وهذا غيضٌ من فيض من الاعترافات الكثيرة جدّاً بولادة الإمام الثاني عشر، وأنّه ابن الحسن العسكري.

كلّ هذا تجاهله أحمد الكاتب ولم يناقشه بكلمة واحدة.

أحمد الكاتب ينكر ما أثبته علماء الأنساب: لا يحق لأي أحد أن يدلو دلوه في

---

(١) الأعلام: ج ٦، ص ٨٠.

(٢) اليواقيت والجواهر: ج ٢، ص ٥٦٢، المبحث الخامس والستون.

أي مكان وفي أي زمان، إلّا أن يكون ذا خبرة كافية في المورد المطروح للنقاش، وفي موارد ولادة الرجال وعدمها ـ وخصوصاً إذا طالت المدّة ـ يترك الأمر إلى علماء الأنساب المشغلين بهذا الفن لكي يثبتوا الحقيقة أو ينفوها.

وعلماء الأنساب ابتداءً من زمن الغيبة الصغرى، وحتّى عام ١٢٤٦ هـ قالوا بوجود ولد للعسكري عليه السلام وهو المهدي المنتظر.

يقول النسّابة سهل بن عبدالله بن داود بن سليمان البخاري الذي عاصر الغيبة الصغرى: (وولد علي بن محمّد التقي عليه السلام الحسن بن علي العسكري عليه السلام من أُم ولد نوبيّة تدعى ريحانة، وولد سنة إحدى وثلاثين ومائتين، وقبض سنة ستين ومائتين بسامرّاء وهو ابن تسع وعشرين سنة، وولد علي بن محمّد التقي عليه السلام جعفر، وهو الذي تسمّيه الإماميّة جعفر الكذّاب، وإنّما تسمّيه الإماميّة بذلك لادعائه ميراث أخيه الحسن عليه السلام دون ابنه القائم الحجّة (عج) لا طعناً في نسبه)[١].

ويقول السيّد العمري ـ وهو نسّابة مشهور في القرن الخامس الهجري ـ :

(ومات أبو محمّد عليه السلام وولده من نرجس معلوم عند خاصّة أصحابه وثقات أهله، وسنذكر حال ولادته والأخبار التي سمعناها بذلك، وامتحن المؤمنون بل كافّة الناس بغيبته، وشره جعفر بن علي إلى مال أخيه وحاله، فدفع أن يكون له ولد، وأعانه بعض الفراعنة على قبض جواري أخيه)[٢].

وقال الفخر الرازي الشافعي ـ نسّابة القرن الخامس ـ المتوفّي سنة ٦٠٦:

(أمّا الحسن العسكري الإمام عليه السلام فله ابنان وبنتان، أمّا الابنان فأحدهما صاحب الزمان (عجّل الله تعالى فرجه الشريف) والثاني موسى، درج في حياة أبيه)[٣].

ويقول نسّابة القرن السادس المروزي الأزورقاني: (إنّ جعفر كان كذّاباً ووصفه

---

(١) أبي نصر البخاري، سر السلسلة العلويّة: ص ٣٩ ـ ٤٠.

(٢) المجدي في أنساب الطالبيين: ص ١٣٠.

(٣) الفخر الرازي، الشجرة المباركة في أنساب الطالبيّة: ص ٧٨ ـ ٧٩.

بذلك لأنّه أنكر ولادة الإمام المهدي (عج))[١].

ويقول النسّابة جمال الدين أحمد المعروف بابن عِنَبة، والمتوفى سنة ٨٢٨ هـ:

(أمّا علي الهادي فيلقّب العسكري لمقامه بسرّ من رأى، وكانت تسمّى العسكر، وأمّه أُم ولد، وكان في غاية الفضل ونهاية النبل، أشخصه المتوكّل إلى سرّ من رأى فأقام بها إلى أن توفّي، وأعقب من رجلين، هما:

الإمام أبو محمّد الحسن العسكري عليه السلام، وكان من الزهد والعلم على أمر عظيم، وهو والد الإمام محمّد المهدي)[٢].

وذكر النسّابة أبو الحسن محمّد الحسيني اليماني الصنعاني الزيدي، وهو نسّابة معروف في القرن الحادي عشر، ذكر المهدي المنتظر بأنّه من أبناء العسكري واسمه محمّد[٣].

ويقول محمّد أمين السويدي (المتوفى سنة ١٢٤٦):

(محمّد المهدي، وكان عمره عند وفاة أبيه خمس سنين، وكان مربوع القامة حسن الوجه والشعر، أقنى الأنف، صحيح الجبهة)[٤].

وأخير يقول محمّد ويس الحيدري السوري: (فالحسن العسكري أعقب محمّد المهدي صاحب السرداب)[٥].

وقال على هامش هذه العبارة: (ولد في النصف من شعبان سنة ٢٥٥ هـ، وأُمّه نرجس)[٦].

فهذه هي اعترافات علماء الفن بولادة الثاني عشر، الغائب المنتظر، فلا يحق لأحد

---

(١) الفخري في أنساب الطالبيين: ص ٨.

(٢) عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب: ص ١٨٠.

(٣) روضة الألباب لمعرفة الأنساب: ص ١٠٥.

(٤) سبائك الذهب: ص ٧٨.

(٥) الدرر البهيّة في الأنساب الحيدريّة والأويسيّة: ص ٧٣، طبع حلب ـ سوريا ١٤٠٥ هـ.

(٦) هامش الدرر البهيّة: ص ٧٣ ـ ٧٤.

أن ينقض كلام هؤلاء، وخصوصاً من لا خبرة له ولا علم ولا دراية بعلم الأنساب لا من قريب ولا من بعيد كأحمد الكاتب.

حديث الغيبتين: دوّن الفقهاء والمحدّثون الثقات في موسوعاتهم الحديثيّة هذا الحديث ابتداءً من عصر الغيبة وإلى يومنا هذا، فلقد نقل ذلك الكليني والطوسي والنعماني والطبري والمجلسي وغيرهم.

يقول ثقة الإسلام الكليني: عن عبيد بن زرارة عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «**للقائم غيبتان يشهد في أحدهما المواسم يرى الناس ولا يرونه**»(١).

وقال أيضاً: عن إسحاق بن عمّار قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: «**للقائم غيبتان، إحداهما قصيرة، والأخرى طويلة، الغيبة الأولى لا يعلم بمكانه فيها إلّا خاصّة شيعته، والأخرى لا يعلم بمكانه فيها إلّا خاصّة مواليه**»(٢).

وفي الحديث الثالث شرح الإمام حال الناس في هاتين الغيبتين وموقفهم منها، يقول الشيخ الكليني بسنده عن أبي عبدالله عليه السلام: «**لصاحب هذا الأمر غيبتان، إحداهما يرجع منها إلى أهله، والأخرى يقال هلك في أي وادٍ سلك**»، قلت: كيف نصنع إذا كان كذلك؟ قال: «**إذا ادّعاها مدّعٍ فاسألوه عن أشياء يجيب فيها مثله**»(٣).

وتحدّث الشيخ الطوسي عن حديث الغيبتين، ونقلها في موسوعته (الغيبة)، يقول الشيخ الطوسي بسنده عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: «**إنّ لصاحب هذا الأمر غيبتين إحداهما أطول من الأخرى، حتّى يقال: مات، وبعض يقول: قُتل، فلا يبقى على أمره إلّا نفر يسير من أصحابه، ولا يطّلع أحد على موضعه وأمره ولا خبره إلّا المولى الذي يلي أمره**».

وعلّق الشيخ الطوسي على هذا الحديث فقال: (فهذا الخبر صريح فيما نذهب إليه في صاحبنا لأنّ له غيبتين:

---

(١) الكافي: ج ١، ص ٤٠٠، كتاب الحجّة، باب الغيبة، ح ١٢.

(٢) الكافي: ج ١، ص ٤٠١، كتاب الحجّة، باب الغيبة، ح ١٩.

(٣) الكافي: ج ١، ص ٤٠١، كتاب الحجّة، باب الغيبة، ح ٢٠.

الأولى: كان يعرف فيها أخباره ومكاتباته.

والثانية: أطول، انقطع ذلك فيها، وليس يطّلع عليه أحد إلّا من يختصّه، وليس كذلك لأبي الحسن موسى عليه السلام)[١].

واستقرأ الشيخ الطوسي أحاديث الغيبتين وما حملت من ألفاظ دلّت على أنّ للمهدي غيبتين.

فقد نُقل عن أبي عبدالله عليه السلام مخاطباً حازم بن حبيب: «**يا حازم، إنّ لصاحب هذا الأمر غيبتين يظهر في الثانية، إن جاءك من يقول إنّه نفض يده من تراب قبره فلا تصدّقه**»[٢].

ونقل الشيخ الطوسي حديث آخر لأبي عبدالله عليه السلام حيث قال: «**أما إنّ لصاحب هذا الأمر فيه غيبتين، واحدة قصيرة والأخرى طويلة**»[٣].

ونقل الشيخ أيضاً عن أبي عبدالله عليه السلام قوله: «**إنّ لصاحب هذا الأمر غيبتين، إحداهما تطول حتّى يقول بعضهم مات، ويقول بعضهم قتل، ويقول بعضهم ذهب، حتّى لا يبقى على أمره من أصحابه إلّا نفر يسير لا يطلع موضعه أحد من ولده ولا غيره إلّا المولى الذي يلي أمره**»[٤].

ونقل الشيخ النعماني في كتابه الغيبة فقال: عن إسحاق بن عمّار الصيرفي، قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: «**للقائم غيبتان إحداهما طويلة والأخرى قصيرة، فالأولى يعلم بمكانه فيها خاصّة من شيعته، والأخرى لا يعلم بمكانه فيها إلّا خاصّة مواليه في دينه**»[٥].

---

(١) الغيبة للطوسي: ص ٤١.

(٢) الغيبة للطوسي: ص ٢٦١.

(٣) الغيبة للطوسي: ص ١٠٣.

(٤) الغيبة للطوسي: ص ١٠٢.

(٥) الغيبة للنعماني: ص ١٧٠، باب ١٠، ح ١.

ونقل عن الإمام الباقر عليه السلام قوله: «**إنّ لصاحب هذا الأمر غيبتين....**»، إلخ[١].

ويقول النعماني متحدّثاً عن الباقر عليه السلام أنّه قال: «**إنّ للقائم غيبتين يقال له في إحداهما هلك، ولا يدرى في أي وادٍ سلك**»[٢].

ولقد نقل النعماني مجموعة من الأحاديث التي تدلّ على أنّ للإمام الحجّة غيبتين، إحداهما طويلة والأخرى قصيرة[٣].

ونقل الطبري في دلائل الإمامة عن هشام بن الحكم قال: لصاحب هذا الأمر غيبتان، إحداهما أطول من الأخرى[٤].

فهذه هي أحاديث الغيبتين وغيرها، نقلت من الأئمّة المعصومين عليهم السلام، ونقلها الكليني المعاصر للغيبة، والطوسي والنعماني والطبري، ونقلها من أصحاب الإمام الباقر عليه السلام: إبراهيم بن عمر اليماني، ومحمّد بن مسلم الثقفي وغيرهم، ومن أصحاب الصادق عليه السلام: إسحاق بن عمّار الصيرفي، وحازم بن حبيب وعبيد بن زرارة، والمفضّل ابن عمر، وزرارة بن أعين، وهشام بن الحكم، وعبدالأعلى مولى آل سام.

كلّ هؤلاء تسالموا على نقل حقيقة حديث الغيبتين الذي أنكره أحمد الكاتب[٥]، ولم يكتفِ بالإنكار، بل كذب على القارئ بأنّ هذا الحديث أوّل من نقله هو النعماني، فقال:

(إنّ الاستشهاد بالغيبتين قد ابتدأه النعماني في منتصف القرن الرابع الهجري، بعد انتهاء عهد النوّاب الخاصّين، ولم يشر إليه من سبقه من المؤلّفين حول الغيبة الذين اكتفوا بالإشارة إلى الغيبة الواحدة)[٦].

---

(١) الغيبة للنعماني: ص ١٧١، باب ١٠، ح ٣.

(٢) الغيبة للنعماني: ص ١٧٣، باب ١٠، ح ٨.

(٣) الغيبة للنعماني: ص ١٧١ و١٧٢ و١٧٥، باب ١٠، ح ٥ و٦ و١٥.

(٤) دلائل الإمامة: ص ٢٩٣، باب ما ورد من الأخبار في وجوب الغيبة.

(٥) أحمد الكاتب، تطوّر الفكر السياسي: ص ١٩٩.

(٦) أحمد الكاتب، تطوّر الفكر السياسي: ص ١٩٩.

فلا أدري، هل يعلم الكاتب بأنّ سنة وفاة الكليني (٣٢٩ هـ) معاصرة للغيبة الصغرى، والذي استشهد بحديث الغيبتين كما بيّناه أم لا؟

التوقيعات الصادرة من امام العصر والزمان: غُيِّب الإمام المهدي كما تغيّب الغيوم الشمس، وتحقّق الحاجز المصرّح به والمعلوم عند المسلمين بينهم وبين إمامهم، ولكن بقي هناك بصيص أمل للاتصال والمتابعة عبر قناة النوّاب الأربعة الذي اعترف به الكاتب بنفسه عندما قال بحقّهم: **(اتفقت عامّة الاثني عشريّة على الأخذ من النوّاب الأربعة وميّزوهم عن غيرهم)**[١].

ومرّر الإمام المغيّب عبر هؤلاء الثقات توجيهاته إلى الأمّة وتوصياته، يقول الشيخ الكليني: عن إسحاق بن يعقوب، قال: سألت محمّد بن عثمان العمري (رضي الله عنه) أن يوصل لي كتاباً قد سألت فيه عن مسائل أشكلت عليَّ فورد في التوقيع بخط مولانا صاحب الزمان (عج) ـ ذلك الخط الذي يقول عنه أحد أصحاب الأئمّة هو نفس الخط الذي كان يخرج عن العسكري[٢] ـ، وأجاب الإمام المهدي عن مسائل إسحاق بن يعقوب، وكذلك أجاب عن الكثير من المسائل التي رفعها إليه الأصحاب عن طريق النوّاب، وقد بلغت التواقيع عند الشيخ الصدوق وحده ثلاثة وأربعين توقيعاً، ووضع لها باباً خاصاً سمّاه ذكر التوقيعات الواردة عن القائم، ولم يناقش الكاتب لا أسانيد هذه التوقيعات ولا متونها، واكتفى بوصفها بأنّها إشاعات، ولكن من أين هذه الإشاعات، هل من رجال أسانيد هذه المتون الثقات؟ أم من النوّاب الأربعة المتفق على جلالتهم وقدرهم؟ كلّ ذلك أهمله الكاتب، ولم يحمل طرف المسؤوليّة عن تلك الإشاعات.

الاختلاف في اسم أمّ الإمام وولادته: من عجيب الأدلّة التي اعتمدها الكاتب على عدم وجود الإمام المهدي، هو الاختلاف الحاصل كما يراه في اسم أمّ الإمام، أو

---

(١) أحمد الكاتب، تطوّر الفكر السياسي: ص ٢٢٩ ـ ٢٣٠.

(٢) الغيبة للطوسي: ص ٢١٦.

الاختلاف في سنة ولادته[١]، وما شابه ذلك، وهذا من استدلالات الغريق الذي يتعلّق بالقشّة لإثبات مدّعاه.

ولو سلّمنا للكاتب، ولم نتبّع ما اشتهر من الروايات وتظافر بأنّ اسم أُمّ الإمام هو (نرجس)، وأنّ سنة ولادته هي (٢٥٥ هـ) في النصف من شعبان، والذي اعترف به ابن خلكان في وفيات الأعيان[٢]، وغيره ـ كما تقدّم ـ.

فلو تركنا كلّ ذلك، وسلّمنا للكاتب أنّه يوجد اختلاف تاريخي في اسم أُمّ الإمام وسنة ولادته، فهل هذا يدل على عدم وجوده؟

فإن كان ذلك، فعليه أن يلتزم بكلّ لوازم كلامه هذا، عليه أن يلتزم بعدم وجود رسول الله ﷺ لأنّهم اختلفوا في ولادته، هل هو يوم الاثنين لليلتين خلتا من شهر ربيع الأوّل، أو بعد ثمان ليال خلون من شهر ربيع الأوّل، وكذلك اختلف السنّة والشيعة حول وفاة رسول الله ﷺ.

وعليه أيضاً أن يلتزم بعدم وجود الصدّيقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام سيّدة نساء العالمين، لأنّ السنّة أنفسهم اختلفوا في زمن ولادتها، ولم يكن الاختلاف بالأيام أو بالأشهر، بل فاق ذلك بكثير.

وعليه أن يلتزم بعدم وجود أمير المؤمنين علي عليه السلام، لأنّهم اختلفوا في ولادته، فهل ولد يوم ١٣ رجب أم يوم ٢٣ رجب. وعليه أن يلتزم بعدم وجود الحسن السبط، لأنّهم اختلفوا في ولادته، هل كانت يوم الثلاثاء منتصف شهر رمضان سنة (٢ هـ) أم سنة (٣ هـ). وعليه أن يلتزم بعدم وجود الحسين عليه السلام، فإنّهم اختلفوا في ولادته. وعليه أن يلتزم بعدم وجود الإمام الكاظم عليه السلام لأنّهم اختلفوا في اسم أمّه، هل هي حميدة وهو المشهور، أو نباتة[٣].

ولو استقرأنا التاريخ على مبنى أحمد الكاتب، وهو الاختلاف في اسم الأمّ أو ولادة

---

(١) أحمد الكاتب، تطوّر الفكر السياسي: ص ٢١٠ ـ ٢١١.

(٢) وفيات الأعيان: ج ٤، ص ١٧٦، ح ٥٦٢.

(٣) عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب: ص ١٧٧.

الشخص، وجعلنا ذلك دليلاً لعدم وجود الشخص، فلا يبقى لنا من أئمّـة المسـلمين وعظماء الإسلام أحد[١].

(١) دفاع عن الكافي: ج ١، ص ٥٣١.

هل أخبر العسكري بوجود خلف له؟ ٢٥٣
الوضع السياسي عشيّة الغيبة وغداتها ٢٥٦
قائمة بأسماء المقتولين في أيّام العسكري من العلويين فقط ٢٥٧
قائمة بأسماء العلويين الذين قتلوا في أيّام العسكري عليه السلام بالسجون ٢٥٩
موقف العسكري من خلفاء عصره (المعتز والمهتدي والمعتمد) ٢٦١
قطع الرؤوس وحملها للخلفاء أيّام العسكري ٢٦٣
منهج العسكري عليه السلام في التحرّك السياسي ٢٦٤
المؤرّخون والصراع العبّاسي العلوي ٢٦٦
وصف شعري لظلم العبّاسيين للبيت العلوي ٢٧٢
المبحث الثاني عشر: الإمام المهدي المنتظر (عج) ٢٧٥
ما معنى المهدي؟ ٢٧٥
مهدويّة محمّد بن الحنفيّة ٢٧٧
هويّة المهدي عند رسول الله وأهل بيته عليهم السلام ٢٧٩
الإمام الثاني عشر وأنّه المهدي المنتظر ٢٨٢
اعترافات علماء السنّة بأنّ المهدي هو محمّد بن الحسن العسكري ٢٨٦
أحمد الكاتب ينكر ما أثبته علماء الأنساب ٢٩٠
حديث الغيبتين ٢٩٣
التوقيعات الصادرة من امام العصر والزمان ٢٩٦
الاختلاف في اسم أُمّ الإمام وولادته ٢٩٦

الفصل الخامس: نظريّة الشورى في مواجهة التحديّات

سند الشورى الوثائقي ٣٠١
إفلاس الشورى من الوثائق ٣٠٤
أحاديث صريحة بالإمامة والخلافة ليست من طرق الشيعة ٣٠٨